

النور المبين

في قواعد عقائد الدين

تأليف الإمام العلامة

محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبّي الغرناطي المالكي

(ت ٧٤١ هـ)

اعتنى به
نزار حمادي

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع
تونس

جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الأولى

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م

التجليد الفني
شركة نقباء الدار للخدمات
بيروت - لبنان

www.daraldeyaa.com

دار الضياء
للنشر والتوزيع
DAR ALDEYAA
For Printing & Publishing

دار الضياء

للنشر والتوزيع

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص. ب. ١٣٤٦ مولي
الربيعي، ٣٢٠١٤
تلفاكس: ٠٠٩٦٥٢٢٦٥٨١٨٠
نقال: ٠٠٩٦٥٩٩٣٩٦٤٨٠

info@daraldeyaa.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:	دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي	تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠	نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠
المملكة العربية السعودية:	مكتبة الرشد - الرياض دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة	هاتف: ٤٣٢٩٣٣٢ - ٢٠٥١٥٠٠ هاتف: ٤٩٢٥١٩٢ هاتف: ٦٣١١٧١٠ فاكس: ٤٩٣٧١٣٠	
الجمهورية التركية:	مكتبة الارشاد - اسطنبول	هاتف: ٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤	فاكس: ٢١٢٦٣٨١٧٠٠
الجمهورية اللبنانية:	دار إحياء التراث العربي - بيروت شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة	هاتف: ٥٤٠٠٠٠ هاتف: ١٧٠٧٠٣٩	فاكس: ٨٥٠٧١٧
الجمهورية العربية السورية:	دار الفجر - دمشق - حلبوني	هاتف: ٢٢٢٨٢١٦	فاكس: ٢٤٥٣١٩٣
جمهورية مصر العربية:	دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر	تلفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١	محمول: ٠١٠٠٢٣٦٢٦٣
المملكة الأردنية الهاشمية:	دار الرازي - عمان - العبدلي دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان	تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦ هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠	تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠
الجمهورية اليمنية:	مكتبة تريم الحديثة - تريم	هاتف: ٤١٧١٣٠	فاكس: ٤١٨١٣٠
دولة ليبيا:	مكتبة الوحدة - طرابلس شارع عمرو ابن العاص	هاتف: ٠٩١٣٧٠٦٩٩٩	٠٢١٣٣٣٨٢٣٨
الجمهورية الإسلامية الموريتانية:	شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط	هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١	

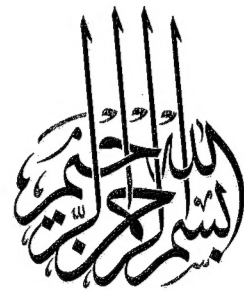
لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه وبأي شكل من الأشكال أو نسخه أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه، وكذلك لا يسمح بالانتهاك منه أو ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِعَقَائِدِ الْإِيمَانِ، وَأَوْضَحَ مَعَالِمَهَا بِالْحُجَجِ
وَالْبُرْهَانِ، وَسَلَكَ بِأَهْلِ السُّنَّةِ سُبُلَ التَّحْقِيقِ، وَحَفِظَهُمْ مِنْ سُلوِكِ بُنَيَاتِ
الطَّرِيقِ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ
الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ، إِلَى مَقَامِ الصَّدَقِ الْمَكِينِ، وَعَلَى آلِهِ
الطَّيِّبِينَ، وَأَصْحَابِهِ أَئِمَّةِ الْمُهْتَدِينَ.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْعُلُومَ الدِّينِيَّةَ وَإِنْ تَنَوَّعَتْ مَوْضُوعَاتُهَا، وَتَعَدَّدَتْ
مَسَائِلُهَا وَأَبْحَاثُهَا، تَرْجِعُ بِالْأَسَاسِ إِلَى الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا
الكَرِيمِ، وَقَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ الْعُلَمَاءِ الْمُعْتَبَرِينَ وَالْأَئِمَّةِ الْمُحَقِّقِينَ عَلَى أَنَّ
أَوَّلَى تِلْكَ الْعُلُومِ بِالتَّفْدِيمِ، وَأَحَقُّهَا بِالتَّعَلُّمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالنَّشْرِ وَالتَّعْمِيمِ:
عِلْمُ التَّوْحِيدِ وَأُصُولِ الدِّينِ، وَأَنَّ أَرْقَى الْمَنَاهِجِ وَأَسْمَاهَا فِي تَقْرِيرِ
أَحْكَامِهِ وَأَدِلَّتِهِ هُوَ مَنَهْجُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ.

قَالَ الْإِمَامُ السَّنُوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّ جَمِيعَ مَا تَعَرَّضَ لَهُ أَهْلُ الْحَقِّ مِنَ
الْأَدِلَّةِ وَقَرَّرُوهُ فِي كُتُبِهِمْ نُقْطَةً مِنْ بَحْرِ مَا ذُكِرَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
الْعَظِيمِ، غَايَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ بَدَّلُوا الْعِبَارَةَ، وَوَضَعُوا أَلْفَاظًا اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا



لِقَصْدِ التَّقَرُّبِ تَعَلُّماً وَتَعْلِيماً، وَذَلِكَ لَا حَجَرَ فِيهِ فِي جَمِيعِ الْعُلُومِ بِاتِّفَاقِ الْعُلَمَاءِ الْمُتَقَدِّدِي بَرَأْيِهِمْ^(١).

وَقَالَ الْإِمَامُ الْأَلُوسِي فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٢-٣]: شَرَعَ تَعَالَى فِي تَحْرِيرِ الدَّلَائِلِ الْعَقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى تَوْحِيدِهِ الَّذِي هُوَ الْمَقْصَدُ الْأَعْظَمُ مِنْ بَعَثَةِ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَقَالَ عَزَّ قَائِلًا: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، وَقَدْ ذَكَرَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ أَنَّهُ - تَعَالَى شَأْنُهُ وَعَظَمَ بُرْهَانُهُ - قَدْ اسْتَوْفَى أَدِلَّةَ التَّوْحِيدِ وَاتَّصَفَ ذَاتُهُ الْكَرِيمَةِ بِصِفَاتِ الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ عَلَى أُسْلُوبِ بَدِيعِ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ دَلَالَةِ الْمَصْنُوعِ عَلَى الصَّانِعِ، وَالنُّعْمَةِ عَلَى الْمُنْعَمِ، وَتَبَّهَ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَكْفِي صَارِفًا لِلْمُشْرِكِينَ عَمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الشُّرْكِ^(٢).

وإِنَّ مِنْ أَفْضَلِ الْكُتُبِ الَّتِي سَلَكَتْ مَسَلَكَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ فِي تَقْرِيرِ أَحْكَامٍ وَأَدِلَّةٍ عَقَائِدِ الدِّينِ، وَإِبْرَازِ الْقَوَاعِدِ الْكُلِّيَّةِ الَّتِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ: كِتَابُ «النُّورِ الْمُبِينِ فِي قَوَاعِدِ عَقَائِدِ الدِّينِ» لِلْإِمَامِ أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جُزَيِّ الْغَرْنَاطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَأَرْضَاهُ، وَجَعَلَ الْجَنَّةَ مُسْتَقَرَّهُ وَمَثْوَاهُ، فَعَلَى كَثْرَةِ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي هَذَا الْفَنِّ النَّفِيسِ إِلَّا أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ يَكَادُ يَكُونُ مُنْقَطِعَ النَّظِيرِ مِنْ حَيْثُ حُسْنُ التَّرْتِيبِ وَوُضُوحُ

(١) المنهج السديد في شرح كفاية المريد (ص ٧١) تحقيق أ. مصطفى مرزوقي، دار الهدى.

(٢) روح المعاني (ج ١٤/ص ٩٦)

الْعِبَارَةِ وَظُهُورُ الْأَدِلَّةِ، فَقَدْ اسْتَوْعَبَ أُمَمَاتِ الْمَسَائِلِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَجَرَّدَهَا مِنَ الْمَسَائِلِ الْخِلَافِيَّةِ، وَأَقَامَ عَلَيْهَا الْأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ الْعَقْلِيَّةَ وَالسَّمْعِيَّةَ، وَخَتَمَهَا بِنَصَائِحِ جَلِيلَةٍ إِذَا عَمِلَ بِهَا الْمُسْلِمُ عَاشَ عِيشَةً مُرْضِيَّةً.

هَذَا، وَبَعْدَ أَنْ يَسَّرَ اللَّهُ لَنَا بِفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ الْعِنَايَةَ بِكِتَابِ «الْأَنْوَارِ السَّنِيَّةِ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِيَّةِ» لِلْإِمَامِ ابْنِ جُزَيٍّ، وَطِبَاعَتَهُ بِدَارِ الْإِمَامِ ابْنِ عَرَفَةَ بِتُونِسَ، تَوَجَّهَتْ الْهِمَّةُ بِتَوْفِيقِهِ عَزَّ وَجَلَّ لِإِخْرَاجِ هَذَا الْكِتَابِ الْمُبَارَكِ النَّافِعِ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَتَحْصَلُ آنَذَاكَ إِلَّا عَلَى مُصَوَّرَةٍ مِنْ نُسخَةٍ يَتِيَمَةٍ لَهُ مِنْ خِزَانَةِ الْقُرَوِيِّينَ بِفَاسٍ، وَكَانَتْ صُورَتُهَا رَدِيئَةً لِلْغَايَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ اعْتَنَيْتُ بِمَا تيسَّرَ مِنْهَا.

ثُمَّ بَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنْ ذَلِكَ وَصَلَتْني صُورَةٌ نَفِيَّةٌ جَلِيلَةٌ لِنَفْسٍ تِلْكَ النُّسخَةِ الَّتِي لَا أُخْتُ لَهَا فِيمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ مَكْتَبَاتِ الْعَالَمِ، وَذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ أَحْبَابِنَا فِي اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الَّذِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِمَعْرِفَتِهِمْ وَالتَّعَاوُنِ مَعَهُمْ لِنَشْرِ الْعِلْمِ: سَمُو الشَّيْخِ سَالِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْقَاسِمِيِّ، وَفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ أَبِي بَكْرٍ سَعْدَاوِي، جَزَاهُمَا اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ، فَجَدَّدْتُ الْعَزْمَ عَلَى إِكْمَالِ الْعِنَايَةِ بِهِ وَنَشْرِهِ، فَتَمَّ ذَلِكَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي فِتْرَةٍ وَجِيزَةٍ.

وَأَمَّا عَمَلِي فِي هَذَا الْكِتَابِ فَقَدْ افْتَصَرَ عَلَى مُحَاوَلَةٍ ضَبْطِ النَّصِّ ضَبْطًا جَيِّدًا وَشَكْلِهِ بِالْكَامِلِ، وَتَخْرِيجِ آيَاتِهِ وَأَحَادِيثِهِ، وَفَهْرَسَتِهَا مَعَ الْمَوْضُوعَاتِ، كَمَا أَكْثَرْتُ مِنَ التَّعْلِيلِ عَلَى بَعْضِ مَبَاحِثِهِ مِنْ نَفْسِ كَلَامِ

الإمام ابن جُزَيِّ في تَفْسِيرِهِ النَّفِيسِ الْمُسَمَّى بِـ «التَّسْهِيلِ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ»،
مُعْتَمِدًا عَلَى أَفْضَلِ تَحْقِيقٍ لَهُ ظَهَرَ إِلَى حَدِّ الْآنَ، وَهُوَ لِلدُّكْتُورِ أَبِي بَكْرٍ
سَعْدَاوِي، وَالَّذِي صَدَرَ عَنِ الْمُتَنَدَى الْإِسْلَامِيِّ بِالشَّارِقَةِ سَنَةَ
١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

هَذَا، وَنَسَأَلُ اللَّهَ مُؤَلَانَا الْعَظِيمَ، بِجَاهِ نَبِيِّهِ الْمُصْطَفَى الْكَرِيمِ، أَنْ
يَمُنَّ عَلَيْنَا وَعَلَى أَحِبَّتِنَا وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ دُنْيَا وَآخِرَى بِالسَّتْرِ
الْجَمِيلِ، وَالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ - بِلَا مِحْنَةٍ - لِجَمِيعِ الذُّنُوبِ، وَأَنْ يُطَهِّرَ بِتَوْبَةٍ
صَادِقَةٍ مَقْبُولَةٍ دَائِمَةٍ إِلَى الْوَفَاةِ ظَوَاهِرَنَا وَبَوَاطِنَنَا مِمَّا تَلَوَّثْنَا بِهِ مِنْ دَنَسِ
الْعُيُوبِ، وَأَنْ يُدْخِلَنَا بِفَضْلِهِ فِي زُمْرَةِ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَنْ يُمَتِّعَنَا بِرِضَاهُ
عَنَّا فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ وَيَجْعَلَنَا بِجُودِهِ وَكَرَمِهِ مِنْ حِزْبِهِ النَّاجِينَ الْمُفْلِحِينَ.

وَأَخِرُ دَعْوَانَا أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى
جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ، وَكَافَّةِ الْمَلَائِكَةِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ الْمُطَهَّرِينَ،
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

كتبه

نزار حمادي

يوم الأحد ٢٦ ذو القعدة ١٤٣٥هـ الموافق لـ ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م،

وقد كانت بداية استئناف العناية به يوم

١٩ ذو القعدة ١٤٣٥هـ الموافق لـ ١٤ سبتمبر ٢٠١٤م،

والله اعلم بالصواب

ترجمة موجزة

للإمام أبي القاسم بن جزي^(١)

هُوَ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُزَيِّ الْكَلْبِيِّ، يُكْنَى أَبَا الْقَاسِمِ،
مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ، وَذَوِي الْأَصَالَةِ وَالنَّبَاهَةِ فِيهَا، وُلِدَ عَامَ (٦٩٣هـ).

كَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى طَرِيقَةٍ مُثَلَّى مِنَ الْعُكُوفِ عَلَى الْعِلْمِ، وَالِاشْتِغَالِ
بِالنَّظَرِ، وَالتَّقْيِيدِ، وَالتَّدْوِينِ، فَقِيهًا، حَافِظًا، قَائِمًا عَلَى التَّنْذِيرِ،
مُشَارِكًا فِي فُنُونٍ: مِنْ عَرَبِيَّةٍ، وَأُصُولٍ، وَقَرَاءَاتٍ، وَحَدِيثٍ، وَآدَبٍ،
حَافِظًا لِلتَّفْسِيرِ، مُسْتَوْعِبًا لِلْأَقْوَالِ، جَمَاعَةً لِلْكِتَابِ، مُلَوِّكِي الْخِزَانَةِ،
حَسَنَ الْمَجْلِسِ، مُمْتِعَ الْمُحَاضَرَةِ، صَحِيحَ الْبَاطِنِ.

تَقَدَّمَ خَطِيبًا بِالمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ مِنْ بَلَدِهِ عَلَى حَدَاثَةِ سِنِّهِ، فَاتَّفَقَ

(١) مصادر الترجمة: «الإحاطة» لابن الخطيب (ج ٣/ص ٢٠)، «نفح الطيب»
(ج ٥/ص ٥١٤)، «أزهار الرياض» (ج ٣/ص ١٨٤) كلاهما للمقري، «الدياج
المذهب» لابن فرحون (ص ٢٩٥) «نيل الابتهاج» للتنبكتي (ص ٢٣٨)، «الفكر
السامي» للحجوي (ج ٢/ص ٢٤٠)، «الدرر الكامنة» لابن حجر (ج ٣/ص ٤٤٦)،
«شجرة النور الزكية» لمخلوف (ص ٢١٣)، «الأعلام» للزركلي (ج ٦/ص ٢٢١)،
«فهرس الفهارس والأبواب» للكتاني (ج ١/ص ٣٠٦).

عَلَى فَضْلِهِ، وَجَرَى عَلَى سَنَنِ أَصَالَتِهِ.

قَرَأَ عَلَى الْأُسْتَاذِ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الزُّبَيْرِ (ت ٧٠٨هـ)، وَأَخَذَ عَنْهُ
الْعَرَبِيَّةَ وَالْفِقْهَ وَالْحَدِيثَ وَالْقُرْآنَ، وَعَلَى أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْكَمَادِ
(ت ٧١٢هـ)، وَلَازَمَ الْخَطِيبَ الْفَاضِلَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رُشَيْدٍ
(ت ٧٢١هـ)، وَأَبَا الْمَجْدِ بْنِ الْأَحْوَصِ، وَالْقَاضِي أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرْطَالٍ،
وَالْأُسْتَاذَ النَّظَّارَ الْمُتَفَنِّنَ أَبَا الْقَاسِمِ قَاسِمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّاطِ.

وَتَخَرَّجَ بِهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ لِسَانُ الدِّينِ بْنُ الْخَطِيبِ
(ت ٧٧٦هـ)، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيِّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْخَشَّابِ
(ت ٧٧٤هـ)، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشَّدِيدُ (ت بعد ٧٧٦هـ)، وَكَذَا أَوْلَادُهُ
الثَّلَاثَةُ وَهُمْ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبُ (ت ٧٥٧هـ)، وَأَبُو
بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْقَاضِي (ت ٧٨٥هـ)، وَأَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ
مُحَمَّدٍ.

أَلَّفَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جُزَيَّ الْكَثِيرَ مِنَ الْمُؤَلَّفَاتِ فِي فُنُونٍ
شَتَّى، مِنْهَا:

* تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْمُسَمَّى بِ«التَّسْهِيلِ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ». طُبِعَ مَرَّاتٍ،
وَأَفْضَلُهَا بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ أَبِي بَكْرٍ السَّعْدَاوِيِّ، طَبْعَةُ الْمُتَنَدِّي الْإِسْلَامِيِّ
بِالشَّارِقَةِ، ٢٠١٢م.

* وَكِتَابُ «وَسِيلَةِ الْمُسْلِمِ فِي تَهْذِيبِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ». مَفْقُودٌ إِلَى
الْآنَ.

* وَكِتَابُ «الْأَنْوَارِ السَّنِيَّةِ فِي الْأَلْفَاظِ السَّنِيَّةِ». طُبِعَ بِعِنَايَتِنَا بِدَارِ
الْإِمَامِ ابْنِ عَرَفَةَ بِتُونِسَ.

* وَكِتَابُ «الدَّعَوَاتِ وَالْأَذْكَارِ الْمُخْرَجَةُ مِنْ صَحِيحِ الْأَخْبَارِ».
مَفْقُودٌ إِلَى الْآنَ.

* وَكِتَابُ «الْقَوَانِينِ الْفِقْهِيَّةِ فِي تَلْخِصِ مَذْهَبِ الْمَالِكِيَّةِ، وَالتَّنْبِيهِ
عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَفِيَّةِ وَالْحَنْبَلِيَّةِ». وَهُوَ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ مَرَّاتٍ
وَمُتَدَاوِلٌ، وَأُولَى طَبْعَاتِهِ بِنَشْرِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَمْدَةَ الزَّامِ الشَّرِيفِ،
وَمُحَمَّدِ الْأَمِينِ الْكُتُبِيِّ بِتُونِسَ سَنَةَ ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م).

* وَكِتَابُ «تَقْرِيبِ الْوُصُولِ إِلَى عِلْمِ الْأُصُولِ». وَهُوَ كِتَابٌ مَطْبُوعٌ
مَرَّاتٍ وَمُتَدَاوِلٌ أَيْضًا.

* وَكِتَابُ «النُّورِ الْمُبِينِ فِي قَوَاعِدِ عَقَائِدِ الدِّينِ». وَهُوَ هَذَا
الْكِتَابُ، وَلَمْ يُطْبَعْ مِنْ قَبْلُ.

* وَكِتَابُ «الْمُخْتَصَرِ الْبَارِعِ فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ». لَهُ طَبْعَاتٌ، مِنْهَا
طَبْعَةُ دَارِ الرَّفَاعِيِّ وَدَارِ الْقَلَمِ الْعَرَبِيِّ، بِتَحْقِيقِ الدُّكْتُورِ فَتْحِي الْعَبِيدِيِّ، سَنَةَ
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

* وكتاب «أصول القراءة الستة غير نافع». مَفْقُودٌ إِلَى الْآنَ.

* وكتاب «الفوائد العامة في لحن العامة». مَفْقُودٌ إِلَى الْآنَ.

وله فهرسة كبيرة اشتملت على جملة كثيرة من أهل المشرق والمغرب. مَفْقُودَةٌ إِلَى الْآنَ.

وَمِنْ شِعْرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ:

لِكُلِّ بَنِي الدُّنْيَا مُرَادٌ وَمَقْصَدٌ وَإِنَّ مُرَادِي صِحَّةٌ وَفَرَاغٌ
لَأَبْلُغَ فِي عِلْمِ الشَّرِيعَةِ مَبْلَغًا يَكُونُ بِهِ لِي لِلْجَنَانِ بَلَاغٌ
فَفِي مِثْلِ هَذَا فَلْيَنَافِسْ أَوَّلُو النَّهْيِ وَحَسْبِي مِنْ دَارِ الْعُرُورِ بَلَاغٌ
فَمَا الْفَوْزُ إِلَّا فِي نَعِيمٍ مُؤَبَّدٍ بِهِ الْعَيْشُ رَغْدٌ وَالشَّرَابُ يُسَاعُ

وله في الجنب النبوي:

أَرْوَمُ امْتِدَاحِ الْمُصْطَفَى فَيَرُدُّنِي قُصُورِي عَنْ إِدْرَاكِ تِلْكَ الْمَنَاقِبِ
وَمَنْ لِي بِحَضْرِ الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ زَاخِرٌ وَمَنْ لِي بِإِخْصَاءِ الْحَصَى وَالْكَوَائِبِ
وَلَوْ أَنَّ كُلَّ الْعَالَمِينَ تَأَلَّفُوا عَلَى مَدْحِهِ لَمْ يَتَلْعَوْا بَعْضُ وَاجِبِ
فَأَمْسَكْتُ عَنْهُ هَيْبَةً وَتَأَدَّبَا وَخَوْفًا وَإِعْظَامًا لِأَرْفَعِ جَانِبِ
وَرُبَّ سُكُوتٍ كَانَ فِيهِ بَلَاغَةٌ وَرُبَّ كَلَامٍ فِيهِ عَثْبٌ لِعَاتِبِ

تُوفِّيَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ جُزَيْ شَهِيدًا يَوْمَ الْكَائِنَةِ بِطَرِيفٍ فِي

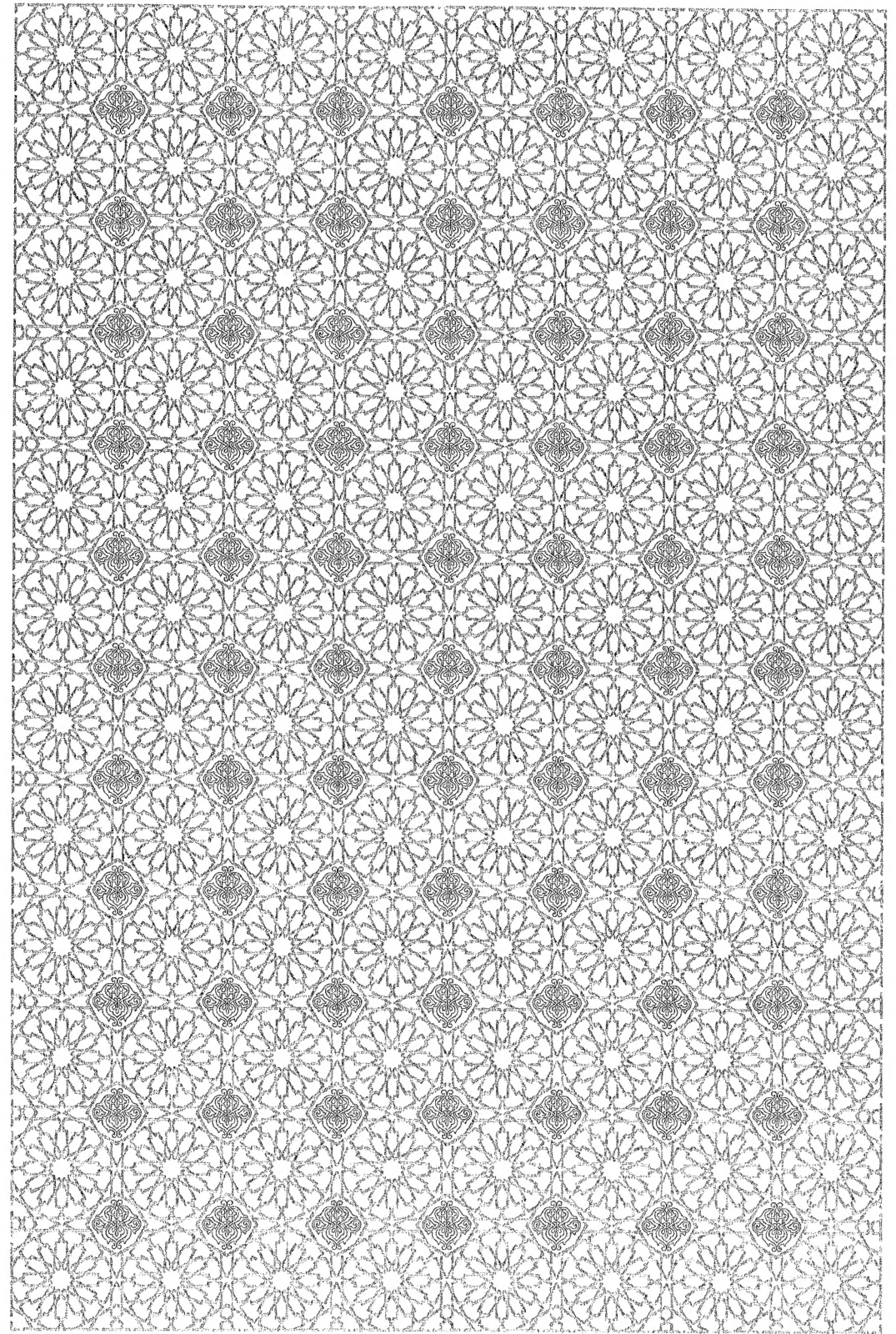
سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ (٧٤١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ نَقَلَ
التَّنْبُكِيُّ فِي كِتَابِهِ «نَيْلِ الْإِبْتِهَاجِ» عَنِ الْحَضَرَمِيِّ فِي فَهْرَسَتِهِ قَوْلَهُ:
شَيْخُنَا الْفَقِيهُ الْجَلِيلُ الْأُسْتَاذُ الْمُقَرَّرُ الْخَطِيبُ الْعَالِمُ الْمُتَقِنُ الْمُصَنِّفُ
الْحَسِيبُ الْمَاجِدُ الصَّدْرُ الْمُعَظَّمُ الْفَاضِلُ الشَّهِيدُ بِوَقِيعَةِ طَرِيفٍ، قَالَ
الْفَقِيهُ الْمُحَدِّثُ الْوَزِيرُ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ ذِي الْوَزَارَتَيْنِ ابْنُ الْحَكِيمِ: أَنْشَدَنِي
يَوْمَ الْوَقِيعَةِ مِنْ آخِرِ شِعْرِهِ قَوْلَهُ:

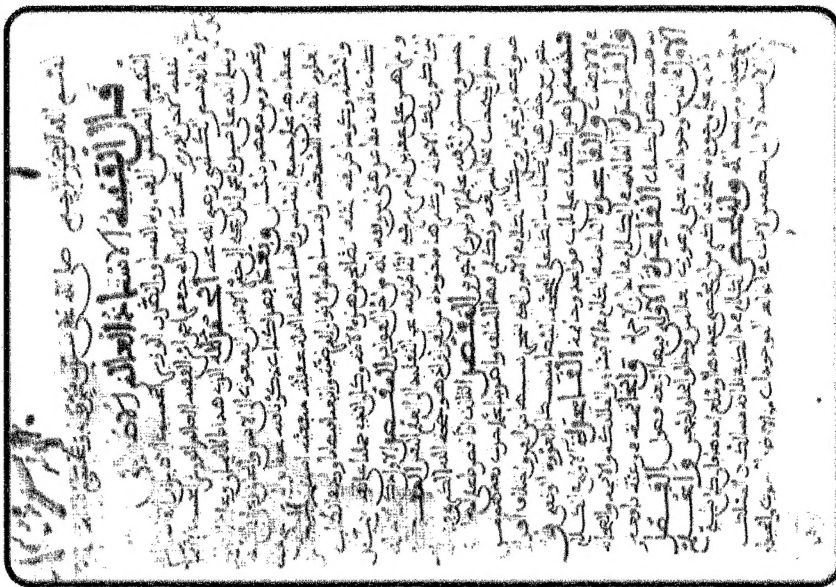
قَصْدِي الْمُؤَمَّلُ فِي جَهْرِي وَإِسْرَارِي وَمَطْلَبِي مِنْ إِلَهِي الْوَاحِدِ الْبَارِي
شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَالِصَةٌ تَمْحُو ذُنُوبِي وَتُنَجِّنِي مِنَ النَّارِ
إِنَّ الْمَعَاصِيَ رَجَسٌ لَا يَطَهَّرُهَا إِلَّا الصَّوَارِمُ مِنْ أَيْمَانِ كُفَّارِ
ثُمَّ قَالَ: فِي الْيَوْمِ أَرْجُو أَنْ يُعْطِنِي اللَّهُ مَا سَأَلْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ.

✽ المخطوط المعتمد في العناية بكتاب النور المبين.

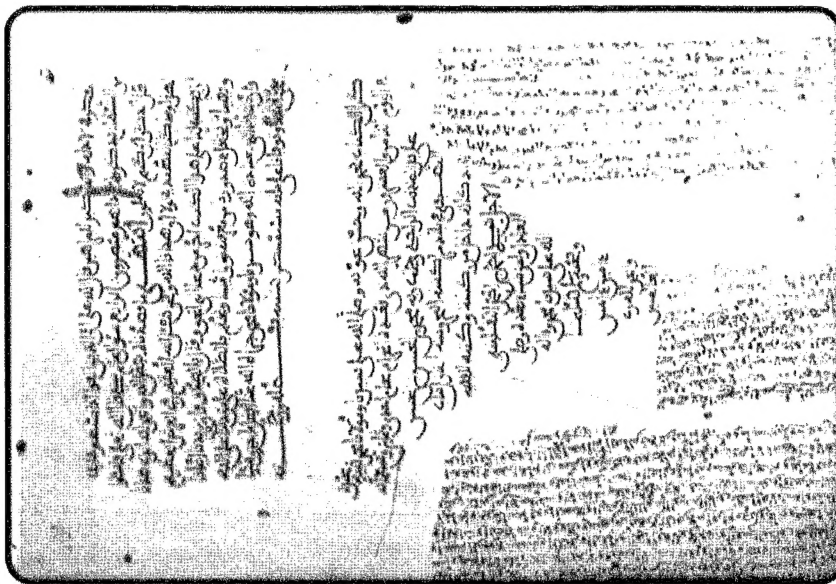
هِيَ النُّسخَةُ الْوَحِيدَةُ فِيْمَا عُلِمَ فِي مَكْتَبَاتِ الْعَالَمِ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ
قِطْعَةٍ ضِمْنَ مَجْمُوعٍ بِخَزَانَةِ الْقُرَوِيِّينَ بِقَاسٍ، يَحْمِلُ رَقْمَ ٧٢١، وَيَقَعُ
كِتَابُ النُّورِ الْمُبِينِ فِي ٢٦ لَوْحَةً، خَطُّهَا مَغْرِبِيٌّ، وَقَدْ رُمِّمَتْ أَطْرَافُهَا
لِمَا لَحِقَ بِهَا مِنَ الْخُرُومِ وَكَذَلِكَ بَعْضُ الرُّطُوبَةِ. وَفِيمَا يَلِي نَمَازِجٌ مِنْ
أَوَّلِهَا وَآخِرِهَا.

صُورُ الْمَخْطُوطَاتِ الْمُسْتَعَانَ بِهَا

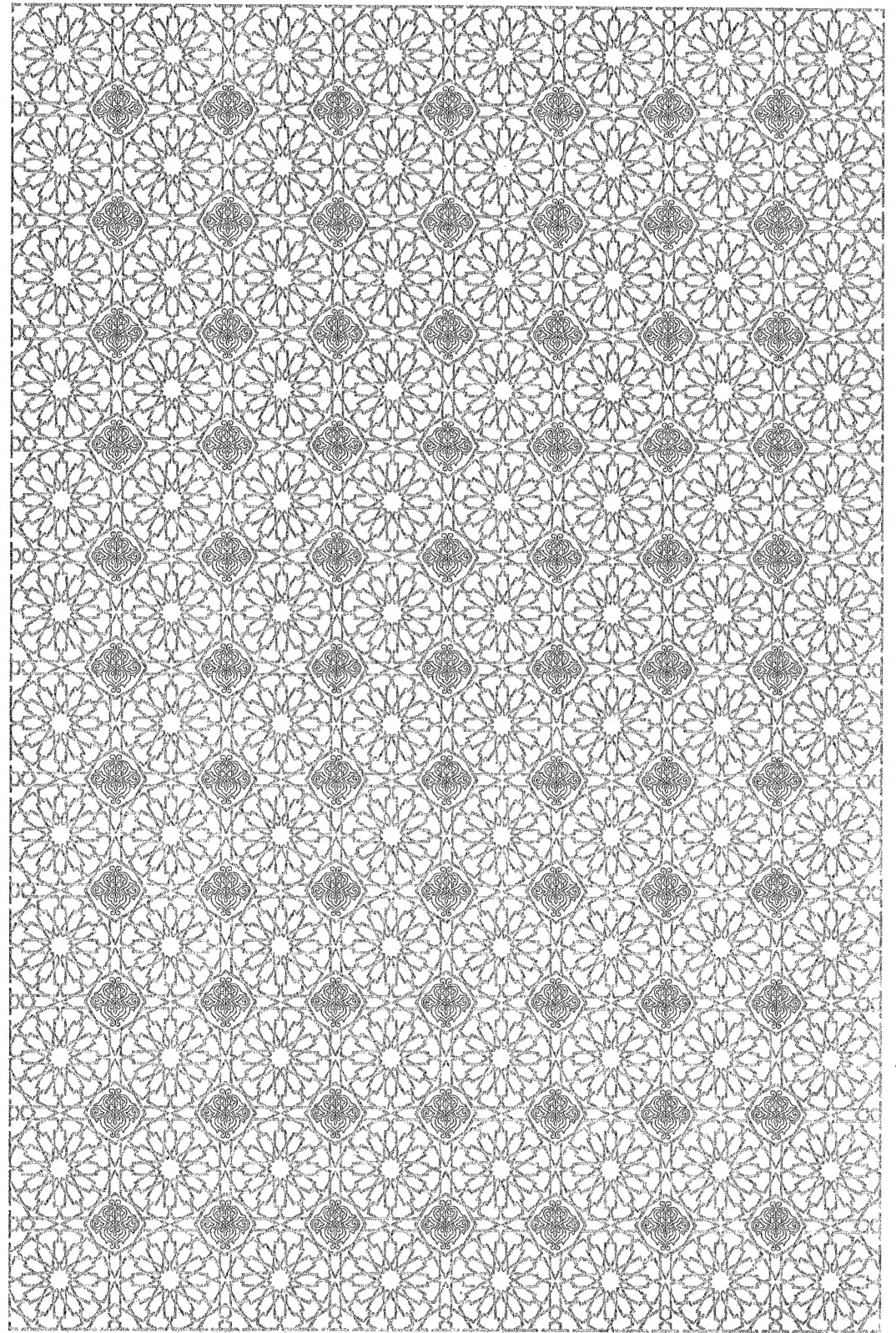




الصفحة الأولى من المخطوط



الصفحة الأخيرة من المخطوط



النَّوْءُ الْمُبِينُ

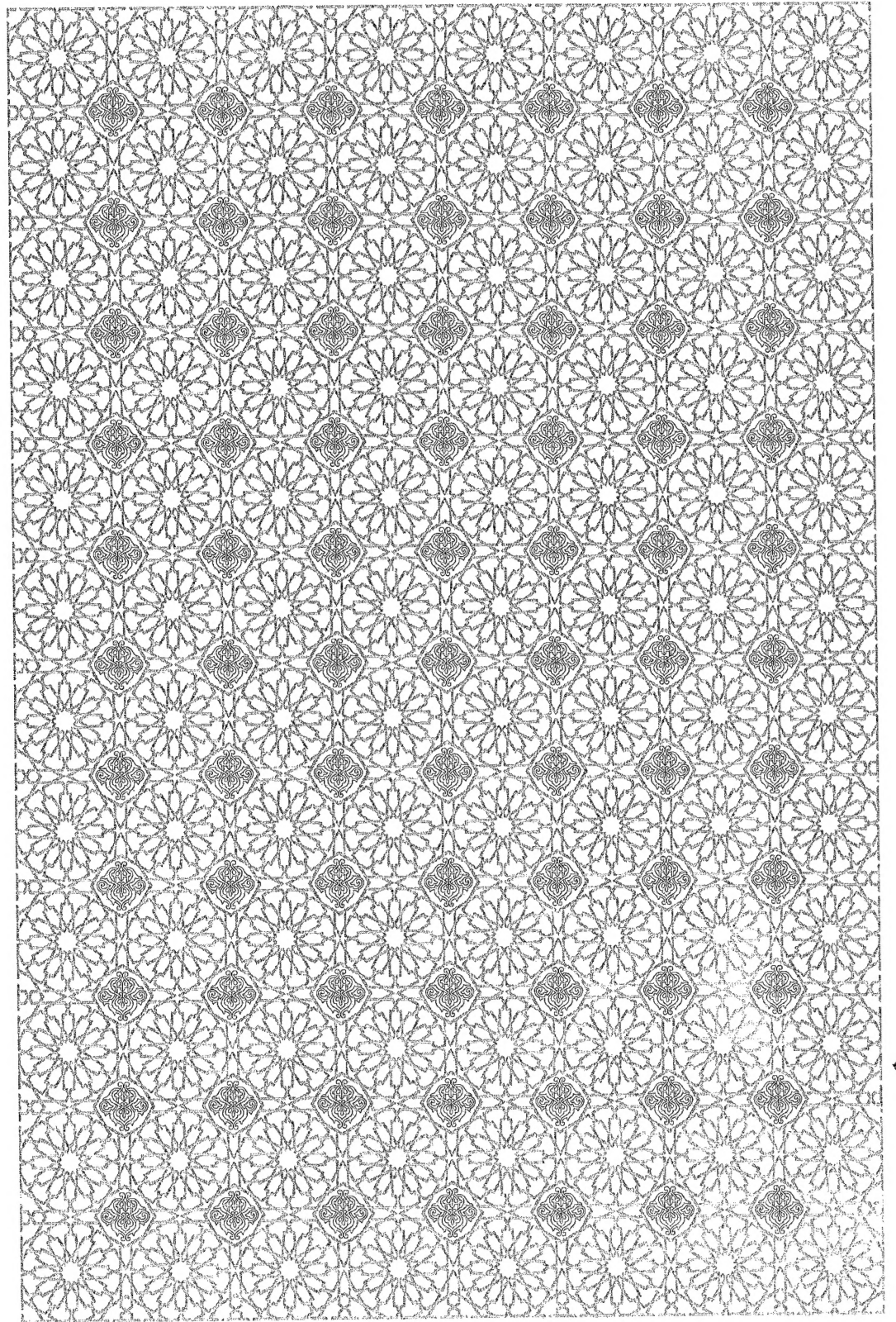
فِي قَوَاعِدِ عَقَائِدِ الدِّينِ

تأليف الإمام العلامة

مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ جَزِي الْكَلْبِيِّ الْغَرْنَاطِيِّ الْمَالِكِيِّ

(ت ٧٤١ هـ)

استنسخه
نزار حمادي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الْفَقِيهُ الْأُسْتَاذُ الْعَالِمُ الْأُصُولِيُّ الْمُفَسِّرُ الْمُتَقَنُّ الْقُدْوَةُ الْمَشَاوَرُ الصَّدْرُ الْوَزِيرُ
الْحَسِيبُ الْأَصِيلُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْفَقِيهِ الْأَجَلِّ الْوَزِيرِ الْحَسِيبِ الْأَصِيلِ أَبِي جَعْفَرٍ
أَحْمَدَ بْنِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الْوَزِيرِ الْحَسِيبِ الْأَصِيلِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَلْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِيمَانِ، وَعَلَّمَنَا الْقُرْآنَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى خَيْرِ الْأَدْيَانِ، الْمَبْعُوثِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وبعد، فَبِهَذَا كِتَابٌ ذَكَرْنَا فِيهِ عَقَائِدَ الدِّينِ، الَّتِي يَجِبُ اعْتِقَادُهَا
عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا أُدْلَةً عَقْلِيَّةً قَطْعِيَّةً، اسْتِمْدَدْنَاهَا مِنْ
الْعُلُومِ الثَّقَلِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ، وَاقْتَبَسْنَاهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْمَرْضِيَّةِ، وَاتَّبَعْنَا فِيهَا مَا
وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَرَّمْنَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَكَانَ الَّذِي حَمَلَنَا عَلَى تَفْيِيدِ هَذَا الْكِتَابِ ثَلَاثَةُ مَقَاصِدَ، هِيَ لِمَنْ
وَفَّقَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِ الْفَوَائِدِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الْفَقِيهُ الْأُسْتَاذُ الْعَالِمُ الْأُصُولِيُّ الْمُفَسِّرُ الْمُتَقَنُّ الْقُدْوَةُ الْمُشَاوِرُ الصَّدْرُ الْوَزِيرُ
الْحَسِبُ الْأَصِيلُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْفَقِيهِ الْأَجَلِ الْوَزِيرِ الْحَسِبِ الْأَصِيلِ أَبِي جَعْفَرٍ
أَحْمَدَ بْنِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الْوَزِيرِ الْحَسِبِ الْأَصِيلِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَلْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِيمَانِ، وَعَلَّمَنَا الْقُرْآنَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى خَيْرِ الْأَدْيَانِ، الْمَبْعُوثِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَبَعْدُ، فَهَذَا كِتَابٌ ذَكَرْنَا فِيهِ عَقَائِدَ الدِّينِ، الَّتِي يَجِبُ اعْتِقَادُهَا
عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً قَطْعِيَّةً، اسْتَمَدَدْنَاهَا مِنْ
الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ، وَاقْتَبَسْنَاهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْمَرْضِيَّةِ، وَاتَّبَعْنَا فِيهَا مَا
وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَرَّمْنَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَكَانَ الَّذِي حَمَلَنَا عَلَى تَقْيِيدِ هَذَا الْكِتَابِ ثَلَاثَةٌ مَقَاصِدَ، هِيَ لِمَنْ
وَفَّقَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِ الْفَوَائِدِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قَالَ الْفَقِيهُ الْأُسْتَاذُ الْعَالِمُ الْأُصُولِيُّ الْمُفَسِّرُ الْمُتَفَنُّ الْقُدْوَةُ الْمُشَاوِرُ الصَّدْرُ الْوَزِيرُ
الْحَسِبُ الْأَصِيلُ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ الْفَقِيهِ الْأَجَلِّ الْوَزِيرِ الْحَسِبِ الْأَصِيلِ أَبِي جَعْفَرٍ
أَحْمَدَ بْنِ الْفَقِيهِ الْعَالِمِ الْوَزِيرِ الْحَسِبِ الْأَصِيلِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي الْقَاسِمِ الْكَلْبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِلْإِيمَانِ، وَعَلَّمَنَا الْقُرْآنَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الدَّاعِي إِلَى خَيْرِ الْأَدْيَانِ، الْمَبْعُوثِ إِلَى الْإِنْسِ وَالْجَانِّ،
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

وَبَعْدُ، فَهَذَا كِتَابٌ ذَكَرْنَا فِيهِ عَقَائِدَ الدِّينِ، الَّتِي يَجِبُ اعْتِقَادُهَا
عَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، وَأَقَمْنَا عَلَيْهَا أَدِلَّةً عَقْلِيَّةً قَطْعِيَّةً، اسْتَمَدَدْنَاهَا مِنْ
الْعُلُومِ النَّقْلِيَّةِ السَّمْعِيَّةِ، وَاقْتَبَسْنَاهَا مِنَ الْأَنْوَارِ الْمَرْضِيَّةِ، وَاتَّبَعْنَا فِيهَا مَا
وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَرَّمْنَا طَرِيقَةَ السَّلَفِ الصَّالِحِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَكَانَ الَّذِي حَمَلَنَا عَلَى تَقْيِيدِ هَذَا الْكِتَابِ ثَلَاثَةٌ مَقَاصِدَ، هِيَ لِمَنْ
وَفَّقَهُ اللَّهُ مِنْ أَجْلِ الْفَوَائِدِ:

* الْمَقْصَدُ الْأَوَّلُ: ذِكْرُ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى عَقَائِدِ الدِّينِ؛ لِيُرْتَقِيَ النَّاظِرُ فِيهَا عَنِ التَّقْلِيدِ إِلَى الْعِلْمِ الْيَقِينِ.

* الْمَقْصَدُ الثَّانِي: كَوْنُ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ أَوْ أَكْثَرِهَا مَأْخُودَةً مِنَ الْقُرْآنِ، إِذْ هُوَ حُجَّةُ اللَّهِ الْكُبْرَى وَحَبْلُهُ الْمَتِينُ، وَلِيَتَبَيَّنَ أَنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ.

* الْمَقْصَدُ الثَّلَاثُ: أَنَّا اقْتَصَرْنَا عَلَى أَمَّهَاتِ الْمَسَائِلِ الَّتِي جَاءَتْ بِهَا الشَّرِيعَةُ وَتَكَلَّمَ فِيهَا السَّلَفُ، وَأَضْرَبْنَا عَمَّا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مِنْ طُرُقِ الْخِصَامِ وَالْجِدَالِ، وَتَرَكْنَا الْكَلَامَ فِي الْأُمُورِ الَّتِي شَجَرَ بِسَبَبِهَا بَيْنَ الْفِرَقِ اخْتِلَافُ أَقْوَالٍ، لِيَكُونَ مَنْ حَصَلَ هَذَا الْكِتَابَ سَالِكًا عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ، مُتَمَسِّكًا بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى.

وَيَشْتَمِلُ هَذَا الْكِتَابُ عَلَى ثَلَاثِ قَوَاعِدَ وَخَاتِمَةٍ:

* الْقَاعِدَةُ الْأُولَى: فِي الْكَلَامِ فِي الْإِلَهِيَّاتِ.

* وَالْقَاعِدَةُ الثَّانِيَّةُ: فِي الْكَلَامِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّحَابَةِ.

* وَالْقَاعِدَةُ الثَّلَاثَةُ: فِي الْكَلَامِ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

وَالْخَاتِمَةُ: فِي وَصِيَّةٍ نَافِعَةٍ تُنَاسِبُ مَقْصَدَ الْكِتَابِ.

القاعدة الأولى في الكلام في الإلهيات وفيها أربعة فصول

الفصل الأول

في إثبات وجود الله تعالى وهو رب العالمين
وخالق الخلق أجمعين

وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَدِلَّةَ عَلَى وُجُودِهِ سُبْحَانَهُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى عَدْدُهَا أَوْ
يُبْلَغَ أَمْدُهَا؛ فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ دَلِيلٌ عَلَيْهِ وَهُرْشِدٌ إِلَيْهِ.

وَلِنُدْخِصَ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ فِي ثَلَاثَةِ مَسَالِكَ:

❖ الْمَسْلَكُ الْأَوَّلُ: الاستدلال بما نصبه من الآيات في أنواع
الموجودات.

مِنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ وَالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ
وَالرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ
الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهَا صَانِعًا صَنَعَهَا، وَخَالِقًا أَبْدَعَهَا.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ
مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] ^(١) الْآيَتَيْنِ.

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ذَكَرَ الْمَخْلُوقَاتِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى الْاِعْتِبَارِ فِي الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ =

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، إِلَى
قَوْلِهِ: ﴿لَا يَكُنْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠] إِلَى آخِرِ
الآيَاتِ السَّتِّ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦] ^(١)، إِلَى
قَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْتَ أَلْفَافًا﴾ [النبا: ١٦].

وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ فَهُوَ يُفِيدُ هَذَا

وَالْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ وَالرِّيَّاحِ وَالْأَمْطَارِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَدُلُّ
بِالْعَقْلِ عَلَى عَشْرَةِ أُمُورٍ، وَهِيَ: أَنَّ اللَّهَ مُوجِدٌ؛ لِأَنَّ الصَّنْعَةَ دَلِيلٌ عَلَى الصَّانِعِ لَا
مَحَالَةَ، وَأَنَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ لِأَنَّهُ لَا خَالِقَ إِلَّا هُوَ؛ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾
[النحل: ١٧]، وَأَنَّهُ حَيٌّ، قَدِيرٌ، عَالِمٌ، مُرِيدٌ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْأَرْبَعَ مِنْ شُرُوطِ
الصَّانِعِ؛ إِذْ لَا تَصْدُرُ صُنْعُهُ عَنْ عَدَمِ صِفَةٍ مِنْهَا، وَأَنَّهُ قَدِيمٌ؛ لِأَنَّهُ صَانِعٌ لِلْمُحْدَثَاتِ،
فَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَهَا فِي الْحُدُوثِ، وَأَنَّهُ بَاقٍ؛ لِأَنَّ مَا ثَبَتَ قَدَمُهُ اسْتَحَالَ عَدَمُهُ،
وَأَنَّهُ حَكِيمٌ؛ لِأَنَّ أَتَارَ حِكْمَتِهِ ظَاهِرَةٌ فِي إِتْقَانِهِ لِلْمَخْلُوقَاتِ وَتَنْبِيهِهِ لِلْمَلَكُوتِ، وَأَنَّهُ
رَحِيمٌ؛ لِأَنَّ فِي كُلِّ مَا خَلَقَ مَنَافِعَ لِبَنِي آدَمَ؛ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
[الجاثية: ١٣]. وَأَكْثَرُ مَا يَأْتِي ذِكْرُ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْقُرْآنِ فِي مَعْرِضِ الاسْتِدْلَالِ عَلَى
وُجُودِهِ تَعَالَى وَعَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ. (التسهيل، ص ٥٩).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: إِنَّمَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هُنَا هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى جِهَةِ
التَّوْقِيفِ لِتُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى الْكُفَّارِ فِيمَا أَنْكَرُوهُ مِنَ الْبَعْثِ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ الْإِلَهَ الَّذِي
قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعِظَامِ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ النَّاسِ بَعْدَ مَوْتِهِمْ. وَيُحْتَمَلُ
أَنْ يَذْكُرَهَا حُجَّةً عَلَى التَّوْحِيدِ؛ لِأَنَّ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ هُوَ الْإِلَهُ وَخَدَهُ، لَا
شَرِيكَ لَهُ. (التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٩٥٤).

الْمَعْنَى، وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ جَدًّا.

وَأَنْظُرْ - وَفَقَكَ اللَّهُ - إِلَى أَقْرَبِ الْأَشْيَاءِ إِلَيْكَ وَهِيَ نَفْسُكَ، فَإِنَّكَ
تَرَى فِيهَا مِنْ الصَّنْعِ الْعَجِيبِ وَالتَّنْذِيرِ الْغَرِيبِ مَا فِيهِ بُرْهَانٌ قَاطِعٌ،
وَلِذَلِكَ نَبَّهَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ الْإِنْسَانَ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
لَمَيْتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]، وَقَالَ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ^(١).

فَمَا أَعْجَبَ تَرْتِيبَ خَلْقِ الْإِنْسَانَ مِنْ مَاءٍ مِهِينٍ، وَتَرْكِيبِ عِظَامِهِ
وَعُرُوقِهِ عَلَى اخْتِلَافِهَا، وَاخْتِصَاصِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا بِمَنْفَعَتِهِ، وَسَرِيَانِ
الْغِذَاءِ إِلَى كُلِّ عُضْوٍ عَلَى قَدَرِهِ، وَاخْتِلَافِ الْقُوَى الْمَخْلُوقَةِ فِيهِ،
وَتَخْصِيصِهِ بِالْعَقْلِ الَّذِي يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنِ الْبَهَائِمِ، وَكَيْفَ يُبْصِرُ بِالْعَيْنَيْنِ،
وَيَسْمَعُ بِالْأَذْنَيْنِ، وَيَتَكَلَّمُ بِاللِّسَانِ، وَيَبْطِشُ بِالْيَدَيْنِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا
فِيهِ مِنَ الْعَجَائِبِ الَّتِي لَا تَنْقُضِي وَلَوْ قُطِعَتْ فِي نَظَرِهَا الْأَعْمَارُ، فَلَا
شَكَّ أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ مُدَبِّرٍ دَبَّرَهُ وَخَالِقٍ أَتَقَنَّهُ.

ثُمَّ أَنْظُرْ فَتَرَى فِي الْعَالَمِ مَوْجُودَاتٍ أَعْظَمُ مِنَ الْإِنْسَانِ: كَالسَّمَاءِ،
وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهِمَا، وَفِيهَا مِنْ عَظَمَةِ الْخَلْقَةِ وَعَجَائِبِ الْحِكْمَةِ مَا لَا

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِي خَلْقَةِ الْإِنْسَانِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعِبَرِ،
وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ فِيهِ خَمْسَةَ آلَافِ حِكْمَةٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْإِنْسَانُ نُسخَةٌ
مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الْعَالَمِ كُلِّهِ. (التسهيل، ج ١/ص ٣٧١)

تُحِيطُ بِهِ الْأَفْهَامُ.

وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧]^(١)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢ - ٣٣]، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]^(٢).

ثُمَّ انْظُرْ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، جَمَادٍ أَوْ حَيٍّ، يَظْهَرُ لَكَ فِيهِ لَطَائِفُ الْحِكْمَةِ وَالتَّنْذِيرِ، فَكُلُّ شَيْءٍ تَرَاهُ أَوْ تَسْمَعُ بِهِ دَلِيلٌ قَاطِعٌ مُسْتَقِلٌّ بِالِدَّلَالَةِ عَلَى وُجُودِ خَالِقِهِ، فَمَا أَعْظَمَ بُرْهَانَ اللَّهِ! وَمَا أَكْثَرَ الدَّلَائِلَ عَلَى اللَّهِ!.

وَلِلْسَائِلِ أَنْ يَسْأَلَ هَاهُنَا ثَلَاثَةَ سُؤَالَاتٍ:

* السُّؤَالُ الْأَوَّلُ: إِنْ قِيلَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْمَوْجُودَاتِ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: هَذَا تَوْقِيفٌ قُصِدَ بِهِ الْاسْتِدْلَالُ عَلَى الْبُعْثِ؛ فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاءَ قَادِرٌ عَلَى خَلْقِ الْأَجْسَادِ بَعْدَ فَنَائِهَا. (التسهيل، ج ٢/ص ٥٣٣)

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: «الْخَلْقُ» هُنَا مُصَدَّرٌ مُضَافٌ إِلَى الْمَفْعُولِ، وَالْمُرَادُ بِهِ الْاسْتِدْلَالُ عَلَى الْبُعْثِ؛ لِأَنَّ الْإِلَهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ عَلَى كِبَرِهَا قَادِرٌ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ فَنَائِهَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ تَوْبِيخُ الْكُفَّارِ الْمُتَكَبِّرِينَ، كَأَنَّهُ قَالَ: خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ، فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى خَالِقِهِمْ وَهُمْ مِنْ أَصْغَرِ مَخْلُوقَاتِهِ وَأَحْفَرِهِمْ؟! وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ؛ لَوُجُودِهِ فِي مَوَاضِعَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَلِأَنَّهُ قَالَ بَعْدَهُ: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّسَةٌ لَأَرِيبَ فِيهَا﴾ [غافر: ٥٩]. (التسهيل، ج ٢/ص ٢٥٤)

مُحَدَّثَةٌ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَعْدُومَةً؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى ذَلِكَ مِنْ وَجْهَيْنِ:

- الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا مُتَغَيِّرَةٌ الصِّفَاتِ بِالْحَرَكَاتِ وَالسَّكِّنَاتِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي عَلَيْهَا مِنَ الْأُمُورِ الطَّارِئَاتِ، وَذَلِكَ يَنْفِي عَنْهَا الْإِتِّصَافَ بِالْقَدَمِ، وَيَقْضِي عَلَيْهَا بِالْحُدُوثِ بَعْدَ الْعَدَمِ.

وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ إِبْرَاهِيمُ الْحَلِيلُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ - فِيمَا ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ﴾ قَالَ هَذَا رِيٌّ^(١) فَلَمَّا أَفْلَ^(٢) قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ [الأنعام: ٧٦]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]، فَإِنَّهُ لَمَّا رَأَى الْكَوْكَبَ وَالْقَمَرَ وَالشَّمْسَ قَدْ أَفَلَتْ وَتَغَيَّرَتْ عَنْ حَالِهَا عَلِمَ أَنَّهَا مُحَدَّثَةٌ، وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى مُحَدِّثِهَا.

وَجَرَى لَهُ هَذَا فِي صِبَاهُ قَبْلَ الْبُلُوغِ وَالتَّكْلِيفِ، وَقِيلَ: بَلْ قَالَ ذَلِكَ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: قَوْلُهُ: ﴿هَذَا رِيٌّ﴾ قَوْلٌ مَنْ يُنْصَفُ خَصْمُهُ مَعَ عِلْمِهِ أَنَّهُ مُبْطِلٌ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَدْعَى إِلَى الْحَقِّ وَأَقْرَبُ إِلَى رُجُوعِ الْخَصْمِ، ثُمَّ أَقَامَ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ بِقَوْلِهِ: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] أَيْ: لَا أُحِبُّ عِبَادَةَ الْمُتَغَيِّرِينَ؛ لِأَنَّ التَّغْيِيرَ دَلِيلٌ عَلَى الْحُدُوثِ، وَالْحُدُوثُ لَيْسَ مِنْ صِفَةِ الْإِلَهِ. (التسهيل، ص ٢٥٩)

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: فَإِنْ قِيلَ: لِمَ احْتَجَّ بِالْأَقُولِ دُونَ الطَّلُوعِ وَكِلَاهُمَا دَلِيلٌ عَلَى الْحُدُوثِ لِأَنَّهُمَا انْتِفَالٌ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ أَظْهَرَ فِي الدَّلَالَةِ؛ لِأَنَّهُ انْتِفَالٌ مَعَ اخْتِفَاءٍ وَاحْتِجَابٍ. (التسهيل، ص ٢٥٩)

تَقْرِيرًا لِقَوْمِهِ وَرَدًّا عَلَيْهِمْ^(١).

- وَالْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ وَجِدَ بَعْدَ أَنْ كَانَ مَعْدُومًا، وَيُشَاهِدُ ذَلِكَ فِي غَيْرِهِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ^(٢) مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُن شَيْئًا﴾ [مریم: ٩].

وَكَذَلِكَ يُشَاهِدُ النَّبَاتُ يُوجَدُ بَعْدَ الْعَدَمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥].

(١) وَقَدْ رَجَّحَ الْإِمَامُ ابْنُ جُرَيْجٍ فِي «التَّسْهِيلِ» أَنَّ سَيِّدَنَا إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - كَانَ مُنَاطِرًا لِقَوْمِهِ، مُقَرَّرًا عَلَيْهِمْ وَجْهَ بُطْلَانِ عِبَادَتِهِمْ لِلْكُؤَاكِبِ، مُشِيرًا إِلَى دَلِيلِ حُدُوثِهَا الْمَبْنِيِّ عَلَى أَقُولِهَا وَذَهَابِهَا وَتَغْيِيرِهَا، فَقَالَ: «وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ جَرَى لَهُ ذَلِكَ بَعْدَ بُلُوغِهِ وَتَكْلِيفِهِ، وَأَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لِقَوْمِهِ عَلَى وَجْهِ الرَّدِّ عَلَيْهِمْ وَالتَّوْبِيخِ لَهُمْ، وَهَذَا أَرْجَحُ؛ لِقَوْلِهِ بَعْدَ ذَلِكَ: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]، وَلَا يَتَصَوَّرُ أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ وَهُوَ مُنْفَرِدٌ فِي الْعَارِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ يَفْتَضِي مُحَاجَّةً وَرَدًّا عَلَى قَوْمِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكُؤَاكِبِ، فَأَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ الْخَطَأَ فِي دِينِهِمْ، وَأَنْ يُرْشِدَهُمْ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ وَاحِدًا مِنْهَا إِلَهًا؛ لِإِقْيَامِ الدَّلِيلِ عَلَى حُدُوثِهَا، وَأَنَّ الَّذِي أَحْدَثَهَا وَدَبَّرَ طُلُوعَهَا وَغُرُوبَهَا وَأَقُولَهَا هُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ وَحْدَهُ». (التسهيل، ص ٢٥٩).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْحِينُ الَّذِي أَتَى عَلَيْهِ: حِينَ كَانَ مَعْدُومًا قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ. (التسهيل، ص ٩٤٦).

* السُّؤَالُ الثَّانِي: إِنْ قِيلَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الصَّنَائِعَ تَفْتَقِرُ إِلَى صَانِعٍ وَلَا تَصْنَعُ هِيَ أَنْفُسَهَا؟
فَالْجَوَابُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

- الْأَوَّلُ: أَنَّ صُنْعَ الشَّيْءِ لِنَفْسِهِ مُحَالٌ لِأَنَّ الصَّنَاعَ يَجِبُ أَنْ يَتَقَدَّمَ عَلَى الْمَصْنُوعِ، وَلَا يَتَقَدَّمُ الشَّيْءُ عَلَى نَفْسِهِ، وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

واعتبر ذلك بنفسك؛ فإنك لم تكن تعلم بنفسك قبل وجودها، فكيف يمكن أن تكون أنت صانعها؟! وفي هذا المعنى قال الله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١].

- الْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ الصَّنَائِعَ عَلَى قِسْمَيْنِ: مِنْهَا مَا يَقْدِرُ الْبَشَرُ عَلَيْهِ، كَالْكِتَابِ وَالْبِنَاءِ وَغَيْرِهِمَا، وَمِنْهَا مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، كَتَصْوِيرِ إِنْسَانٍ مِنَ الْمَاءِ، وَإِخْرَاجِ فَاكِهَةٍ مِنَ الْعُودِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْقِسْمَ الْأَوَّلَ يَفْتَقِرُ إِلَى صَانِعِهِ، فَإِذَا رَأَيْتَ كِتَابًا عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ كَاتِبًا، وَإِذَا رَأَيْتَ دَارًا مَبْنِيَّةً عَلِمْتَ أَنَّ حَيِطَانَهَا وَسَقْفَهَا لَمْ تَتَكَوَّنْ بِنَفْسِهَا.

فَكَذَلِكَ الْقِسْمُ الثَّانِي يَدُلُّ عَلَى صَانِعِهِ وَلَا بُدَّ، بَلْ دَلَالَتُهُ أَقْوَى؛ لِأَنَّ صَنْعَتَهُ أَعْجَبُ، وَآثَارَ الْحِكْمَةِ فِيهِ أَظْهَرُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ^(١) فَأَنْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ ثُمَّ انْجِعِ الْبَصَرَ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «مِن تَفَوتٍ» أَي: مِنْ قِلَّةٍ تَنَاسُبٍ وَخُرُوجٍ عَنِ الْإِتْقَانِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ=

كَرَّيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِعًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿[الملك: ٣ - ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [ق: ٦]، الآية.

- الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ الْعَالَمَ كُلَّهُ يَجُوزُ مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ أَنْ يَكُونَ مَوْجُودًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْدُومًا، فَكَوْنُهُ مَوْجُودًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رَجَحٍ وَجُودَهُ عَلَى عَدَمِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] ^(١).

* السُّؤَالُ الثَّالِثُ: إِنْ قِيلَ: مَا الدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ خَالِقَ الْمَوْجُودَاتِ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ مَخْلُوقَاتِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ، وَبَيَانُ ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ إِمَّا حَيًّا عَاقِلًا كَالْإِنْسَانِ، أَوْ حَيًّا غَيْرَ عَاقِلٍ

= خَلَقَ السَّمَاوَاتِ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ بِحَيْثُ لَيْسَ فِيهَا مَا يَعْيبُهَا مِنَ الزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالْاِخْتِلَافِ. وَقِيلَ: أَرَادَ خَلْقَهُ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ مُتَّفَقَةٌ، وَلَكِنَّ تَخْصِصَ الْآيَةِ بِخَلْقِ السَّمَاوَاتِ أَظْهَرَ؛ لِوُرُودِهَا بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك: ٣]، فَكَانَ قَوْلُهُ: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ﴾ بَيَانًا وَتَكْمِيلًا لِمَا قَبْلَهُ. (التسهيل، ج ٢/ص ٤٦٧).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ فِي تَفْسِيرِهِ هَذِهِ الْآيَةَ: قِيلَ: سَبَبُهَا اسْتِغْرَابُ قُرَيْشٍ لِاخْتِصَاصِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنُّبُوَّةِ، فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لِرِسَالَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. وَلَفْظُهَا أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ، وَالْأَحْسَنُ حَمْلُهُ عَلَى عُمُومِهِ، أَيْ: يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ مِنَ الْأُمُورِ عَلَى الْإِطْلَاقِ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ. (التسهيل، ص ٦٢٤).

كَالْأَنْعَامِ، أَوْ جَمَادًا غَيْرَ حَيٍّ كَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْكَوَاكِبِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالْأَفْلَاقِ وَالطَّبَائِعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ الْحَيَّ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَصْوِيرِ إِنْسَانٍ مِنْ مَاءٍ، وَلَا إِخْرَاجِ فَاكِهَةٍ مِنْ عُودٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَلْقِ، وَإِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْحَيُّ الْعَاقِلُ فَأَوْلَى وَأُخْرَى أَنْ لَا يَقْدِرَ الْحَيُّ غَيْرُ الْعَاقِلِ، وَإِذَا لَمْ يَقْدِرِ الْحَيُّ فَأَوْلَى وَأُخْرَى أَنْ لَا يَقْدِرَ غَيْرُ الْحَيِّ، فَثَبَتَ أَنَّ خَالِقَ الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَ مِنْ جِنْسِهَا، بَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهَا، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْخَلَائِقَ لَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَخْلُقُوا شَيْئًا مِنْ أَصْغَرِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْتِمَلَةِ مَثَلًا لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى ذَلِكَ، وَإِذَا عَجَزُوا عَنِ الْأَصْغَرِ فَعَجَزُوهُمْ عَنِ الْأَكْبَرِ أَوْلَى وَأُخْرَى، وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣] الآية ^(١).

وَقَدْ نَبَّهَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى انْفِرَادِهِ بِالْخَلْقِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ ^(٢) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿[الواقعة: ٥٨ - ٥٩]﴾ ^(٢)، إِلَى قَوْلِهِ:

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ تَنْبِيْهُ بِالْأَصْغَرِ عَلَى الْأَكْبَرِ مِنْ بَابِ أَوْلَى وَأُخْرَى، وَالْمَعْنَى أَنَّ الْأَصْنَافَ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا لَا تَقْدِرُ عَلَى خَلْقِ الذُّبَابِ وَلَا غَيْرِهِ، فَكَيْفَ تُعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ؟ ثُمَّ أَوْضَحَ عَجْزَهُمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ أَيْ: لَوْ تَعَاوَنُوا عَلَى خَلْقِ الذُّبَابِ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ. (التسهيل، ص ٥٤٥).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا تَضَمَّنُ إِقَامَةَ بَرَاهِينٍ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ وَعَلَى الْبُعْثِ، =

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤].

وفي قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٠]، إلى قوله: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

وفي قوله: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، وفي غير ذلك من الآيات.

✽ المسلك الثاني: الاستدلال بأخبار الأنبياء.

اعلم أن الأنبياء - عليهم السلام - دعوا الخلق إلى الإيمان بالله، وظهرت على أيديهم المعجزات التي لا يقدر البشر على مثلها: كإخراج الناقة من الصخرة، وقلب العصا حية، وإحياء الموتى، وإنشاق القمر، ونبع الماء من بين الأصابع، وغير ذلك مما يدل على صدقهم، فوجب الإيمان بالله الذي دعوا إليه، والتصديق بما أخبروا به.

ثم إن من الناس من صدقهم، ومنهم من كذبهم، فهلك من كذبهم بأنواع الهلاك لا يقدر عليها إلا الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ

= وَتَنَصَّبْنَ أَيْضًا وَعِيدًا وَتَعْدِيدَ نَعْمٍ، وَمَعْنَى ﴿تُؤْمِنُونَ﴾: تَقْدِفُونَ فِي رَحِمِ الْمَرْأَةِ، ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو. (التسهيل، ص ٨٥٣).

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ونجا الأنبياء ومن صدقهم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يونس: ١٠٣].

فدل ذلك على صحة ما قالوه وربوبيته من دعوا إليه، وقد نبه الله على هذا في قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ﴾ ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢ - ٤٤]، وفي غير ذلك من قصص الأمم المتقدمة.

وكل ما جاء في القرآن من أخبار الأنبياء - عليهم السلام - فهو يفيد هذا المعنى، وذلك في القرآن كثير جدًا.

ومما يدل على صحة هذا المسلك إيمان سحرة فرعون بالله تعالى لما رأوا معجزة موسى عليه السلام.

سؤال: إن قيل: إن أخبار الأنبياء لا تعلم إلا من أخبار الشارع، فكيف تقوم بذلك حجة على من ينكر الشريعة؟

فالجواب من وجهين:

- الوجه الأول: أن معجزات الأنبياء وإهلاك من كذبهم معلوم من الشريعة وغيرها، فإنها من الأمور العظام التي لا تخفى، وقد ذكرها الله تعالى في القرآن وفي غيره من الكتب التي أنزلها، ونقلتها الأمم من

أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْحُكَمَاءَ وَالْمُؤَرِّحِينَ وَالشُّعْرَاءَ وَغَيْرِهِمْ نَفْلًا مُسْتَفِيزًا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ أَثَارَهُمْ تَشْهَدُ بِذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوَاءِ أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُهَا﴾ [الفرقان: ٤٠]، فَقَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ يُنْكِرُ الشَّرِيعَةَ وَمَنْ لَا يُنْكِرُهَا.

- الوجه الثاني: أَنَا سَنَقِيمُ الدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ الشَّارِعِ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ، فَيَجِبُ التَّصَدِيقُ بِأَخْبَارِ الْأَنْبِيَاءِ، فَيَصِحُّ اسْتِدْلَالُنَا.

★ الْمَسْلُكُ الثَّالِثُ: أَنَّ وُجُودَ اللَّهِ تَعَالَى تَشْهَدُ بِهِ الْفِطْرَةُ السَّلِيمَةُ.

وَتَدُلُّ عَلَيْهِ الْفِكْرَةُ بَدِيهَةٌ؛ فَإِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَجِدُ مِنْ نَفْسِهِ افْتِقَارَ الْعِبَادِيَّةِ، وَيُحَسُّ أَنَّهُ تَحْتَ قَهْرِ الرُّبُوبِيَّةِ، فَيَعْلَمُ قَطْعًا أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُذِهِ الْمَمْلَكَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ مَلِكٍ عَظِيمٍ، وَلَا بُدَّ لَهُذَا التَّدْبِيرِ الْمُحْكَمِ مِنْ مُدَبِّرٍ حَكِيمٍ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]^(١)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: «فِطْرَتُ اللَّهِ» مُنْصُوبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ، كَقَوْلِهِ: «صَبَغَةَ اللَّهُ» [البقرة:

١٣٨]، أَوْ مَفْعُولٌ بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ تَقْدِيرُهُ: «الزُّمُوا» «فِطْرَتُ اللَّهِ»، أَوْ: «عَلَيْكُمْ

«فِطْرَتُ اللَّهِ»، وَمَعْنَاهُ: خَلْقَةُ اللَّهِ، وَالْمُرَادُ بِهِ دِينُ الْإِسْلَامِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ =

الْفِطْرَةُ»^(١).

وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]^(٢) الْآيَةُ.

= عَلَيْهِ؛ إِذْ هُوَ الَّذِي تَفْتَضِيهِ عُقُولُهُمْ السَّلِيمَةُ، وَإِنَّمَا كَفَرَ مَنْ كَفَرَ لِعَارِضٍ أَخْرَجَهُ عَنْ أَصْلِ فِطْرَتِهِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبْوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يَنْصَرَانِهِ» [البخاري: ١٣١٩]. «لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» [الروم: ٣٠] يَعْنِي بِ«خَلْقِ اللَّهِ» الْفِطْرَةَ الَّتِي خُلِقَ النَّاسُ عَلَيْهَا مِنَ الْإِيمَانِ، وَمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُبَدِّلُهَا أَنَّهُ لَا يَخْلُقُ النَّاسَ عَلَى غَيْرِهَا، وَلَكِنْ يُبَدِّلُهَا شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بَعْدَ الْخَلْقَةِ الْأُولَى. أَوْ يَكُونُ الْمَعْنَى أَنَّ تِلْكَ الْفِطْرَةَ لَا يَنْبَغِي لِلنَّاسِ أَنْ يُبَدِّلُوهَا، فَالْتَّفَتِ عَلَى هَذَا حُكْمٌ، لَا خَبَرَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ خُصُوصٌ فِي الْمُؤْمِنِينَ، أَيْ: لَا تَبْدِيلَ لِفِطْرَةِ اللَّهِ فِي حَقِّ مَنْ قَضَى اللَّهُ أَنْ يَثْبُتَ عَلَى إِيْمَانِهِ. (التسهيل، ص ٦٤٠)

(١) قَالَ الْبِيضاوِيُّ: الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ: الْخَلْقَةُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْمَعْرِفَةِ وَقَبُولِ الْحَقِّ وَالتَّائِبِي عَنِ الْبَاطِلِ وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَطِئِ وَالصَّوَابِ. وَالْمَعْنَى: كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى وَجْهِ لَوْ تَرَكَ بِحَالِهِ وَلَمْ يَعْتَوِزْهُ مِنَ الْخَارِجِ مَا يَصُدُّهُ عَنِ النَّظَرِ الصَّحِيحِ: مِنْ فَسَادِ التَّرْبِيَةِ، وَتَقْلِيدِ الْأَبَوَيْنِ، وَالْإِلْفِ بِالْمَحْسُوسَاتِ، وَالْإِنْهَمَاكِ فِي الشَّهَوَاتِ وَخَوْرِ ذَلِكَ، لِنَظَرٍ فِيمَا نُصِبَ مِنَ الدَّلَائِلِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَصَدَقَ الرَّسُولُ وَغَيْرَ ذَلِكَ، نَظَرًا صَحِيحًا يُوصِلُهُ إِلَى الْحَقِّ وَيَهْدِيهِ إِلَى الرُّشْدِ، وَعَرَفَ الصَّوَابَ، وَاتَّبَعَ الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْتَرْ إِلَّا الْمِلَّةَ الْحَنِيفِيَّةَ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى جَنْبَةٍ سِوَاهَا، لَكِنْ يَصُدُّهُ عَنْ ذَلِكَ أُمْتَالُ هَذِهِ الْعَوَائِقِ. (تحفة الأبرار، ج ١/ص ٢١٢).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: الْآيَةُ فِي مَعْنَاهَا قَوْلَانِ: - الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ أَخْرَجَ ذُرِّيَّتَهُ مِنْ صُلْبِهِ وَهُمْ مِثْلُ الذَّرِّ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ =

وَلَا جُلِّ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ النَّفُوسُ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ قَالَتِ الرُّسُلُ
- صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - لِقَوْمِهِمْ: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾
[إبراهيم: ١٠] (١).

وَأِنْ غَفَلَ أَحَدٌ عَنْ هَذَا فِي حَالِ الرَّخَاءِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَيْهِ فِي حَالِ
الشَّدَّةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾
[الروم: ٣٣] (٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يُجِئِكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ
تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣] (٣).

*** ** *

= الْعَهْدُ بِأَنَّهُ رَبُّهُمْ، فَأَقْرَبُوا بِذَلِكَ وَالتَّزَمُوا، رُويَ هَذَا الْمَعْنَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
طُرُقٍ كَثِيرَةٍ، وَقَالَ بِهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ.
- الثَّانِي: أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّمَثِيلِ، وَأَنَّ أَخْذَ الدَّرَجَةِ عِبَارَةٌ عَنْ إِجَادِهِمْ فِي الدُّنْيَا،
وَأَمَّا إِشْهَادُهُمْ فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ نَصَبَ لِبَنِي آدَمَ الْأَدِلَّةَ عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ، وَشَهِدَتْ بِهَا
عُقُولُهُمْ، فَكَأَنَّهُ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وَكَأَنَّهُمْ قَالُوا بِلِسَانِ
الْحَالِ: بَلَى أَنْتَ رَبُّنَا. (التسهيل، ص ٣٠٧).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: الْمَعْنَى: أَفِي وجودِ اللَّهِ شَكٌّ؟ أَوْ: أَفِي إِلَهِيَّتِهِ شَكٌّ؟ وَقِيلَ: فِي
وَحْدَانِيَّتِهِ؟ وَالْهَمَزَةُ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ الشَّكَّ؛ لِظُهُورِ الْأَدِلَّةِ، وَلِذَلِكَ
وَصَفَهُ بَعْدُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]. (التسهيل، ص ٤١٢).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: الْآيَةُ إِنْخَاءٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ فِي الشَّدَائِدِ وَيُشْرِكُونَ
بِهِ فِي الرَّخَاءِ. (التسهيل، ص ٦٤١).

(٣) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: الْآيَةُ إِقَامَةُ لِلْحُجَّةِ، وَظُلُمَاتُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ: عِبَارَةٌ عَنْ شَدَائِدِهِمَا
وَأَهْوَالِهِمَا، كَمَا يُقَالُ لِلْيَوْمِ الشَّدِيدِ: مُظْلِمٌ. (التسهيل، ص ٢٥٦).

الفصل الثاني

في التوحيد وهو معنى قولنا: لا إله إلا الله

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ (١)، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ
لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا زَوْجَةَ لَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ
أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ - سُبْحَانَهُ - مِنْ وُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، أَرْشَدَ إِلَيْهَا
الْقُرْآنُ، فَلَيْسَ بَعْدَ بَيَانِ اللَّهِ فِي إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ بَيَانٌ:

* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَخْلُوقٍ فَإِنَّمَا يَخْلُقُهُ خَالِقٌ وَاحِدٌ؛
لِأَنَّ الْفِعْلَ الْوَاحِدَ لَا يَصْدُرُ مِنْ فَاعِلَيْنِ، فَثَبَّتَ بِذَلِكَ أَنَّ الْخَالِقَ وَاحِدٌ،
وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: اعْلَمْ أَنَّ وَصْفَ اللَّهِ بِالْوَحْدِ لَهُ ثَلَاثَةُ مَعَانٍ كُلُّهَا صَحِيحَةٌ فِي حَقِّ اللَّهِ
تَعَالَى: الْأَوَّلُ: أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا ثَانِي مَعَهُ، فَهُوَ نَفْيٌ لِلْعَدَدِ. وَالْآخَرُ: أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ
وَلَا شَرِيكَ، كَمَا تَقُولُ: فَلَانٌ وَاحِدٌ عَصْرُهُ، أَي: لَا نَظِيرَ لَهُ. الثَّالِثُ: أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا
يُنْقَسِمُ وَلَا يَتَبَعَّضُ. (التسهيل، ص ١٠١٧).

يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿[الفرقان: ٣]﴾^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

* **الوجه الثاني:** أَنَّ الدَّلِيلَ قَدْ دَلَّ عَلَى أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مُحَدَّثٌ مَخْلُوقٌ، خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ شَرِيكُهُ خَالِقُهُ، وَلَا نَظِيرًا لَهُ، وَلَا مُمَاتِلًا لَهُ؛ لِأَنَّهُ عَبْدُهُ، خَلَقَهُ حِينَ شَاءَ، وَيُهْلِكُهُ إِذَا شَاءَ.

وَفِي هَذَا الْمَعْنَى قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]^(٢).

* **الوجه الثالث:** أَنَّا لَوْ فَرَضْنَا إِلَهَيْنِ فَأَرَادَ أَحَدُهُمَا مَوْتَ شَخْصٍ وَأَرَادَ الْآخَرُ حَيَاتَهُ، أَوْ أَرَادَ أَحَدُهُمَا تَحْرِيكَ جِسْمٍ وَأَرَادَ الْآخَرُ تَسْكِينَهُ، فَلَا يَخْلُو ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: إِنَّ مِنْ صِفَاتِ الْإِلَهِ كَوْنَهُ خَالِقًا، وَلَا خَالِقَ إِلَّا اللَّهُ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَغَيْرُهُ مَخْلُوقٌ، وَالْمَخْلُوقُ لَا يَكُونُ شَرِيكًا لِخَالِقِهِ؛ ﴿أَمَّنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]. (القوانين الفقهية، ص ٣١).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بُرْهَانٌ عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَفْيِ الرُّبُوبِيَّةِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ. (التسهيل، ص ٢٧٦).

- **إِمَّا أَنْ تَتَفَقَّدَ إِرَادَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، وَذَلِكَ مُحَالٌ؛ لِأَنَّ الشَّخْصَ لَا يَكُونُ حَيًّا مَيِّتًا، وَالْحَرَكَةُ وَالسُّكُونُ لَا يَجْتَمِعَانِ.**

- **وَإِمَّا أَنْ لَا تَتَفَقَّدَ إِرَادَةَ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، فَيُؤَدِّي إِلَى عَجْزِهِمَا وَقُصُورِهِمَا، وَذَلِكَ أَيْضًا مُحَالٌ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الشَّخْصُ إِمَّا حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، وَالْجِسْمُ إِمَّا مُتَحَرِّكًا أَوْ سَاكِنًا.**

- **وَإِمَّا أَنْ تَتَفَقَّدَ إِرَادَةَ أَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ، فَالَّذِي تَتَفَقَّدُ إِرَادَتَهُ هُوَ الْإِلَهَ، وَالَّذِي لَا تَتَفَقَّدُ إِرَادَتَهُ لَيْسَ بِإِلَهٍ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ مَغْلُوبًا مَقْهُورًا.**

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]^(١)، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَبِغُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]^(٢).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: هَذَا بُرْهَانٌ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ ﴿فِيهِمَا﴾ لِلْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ صِفَةٌ لِـ﴿إِلَهَةٍ﴾، وَ﴿إِلَّا﴾ بِمَعْنَى «غَيْرُ»، فَافْتَضَى الْكَلَامُ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: نَفْيُ كَثْرَةِ الْإِلَهِةِ وَوُجُوبُ أَنْ يَكُونَ الْإِلَهَ وَاحِدًا. وَالْأَمْرُ الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْوَاحِدُ هُوَ اللَّهُ دُونَ غَيْرِهِ. (التسهيل، ص ٥١٦).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: هَذَا احْتِجَاجٌ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَفِي مَعْنَاهُ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَعْنَى: لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةٌ لَابْتَغَوْا إِلَى التَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِعِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، فَيَكُونُونَ مِنْ جُمْلَةِ عِبَادِهِ. وَالْآخَرُ: لَابْتَغَوْا سَبِيلًا إِلَىٰ إِفْسَادِ مُلْكِهِ وَمُعَانَدَتِهِ فِي قُدْرَتِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. (التسهيل، ص ٤٥٥).

قُلْتُ: وَعَلَى الْأَوَّلِ تَكُونُ الْآيَةُ عَلَى مِنْوَالِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ أي: =

* الوجه الرابع: أَنَّا لَوْ فَرَضْنَا إِلَهَيْنِ خَالِقَيْنِ لَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُتَفَرِّدًا بِمَخْلُوقَاتِهِ عَنِ الْآخَرِ، وَلَكَانَتْ مَخْلُوقَاتُ أَحَدِهِمَا تَتَمَيَّزُ عَنْ مَخْلُوقَاتِ الْآخَرِ، لَكِنَّا نَرَى الْمَخْلُوقَاتِ كُلَّهَا مُرْتَبِطَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَهِيَ جَارِيَةٌ عَلَى تَذْيِيرٍ وَتَقْدِيرٍ مُحْكَمٍ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ خَالِقَهَا وَمَالِكَهَا وَمُدَبِّرَهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَيَبَيِّنُ ارْتِبَاطُ الْمَخْلُوقَاتِ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَسَائِرَ الْحَيَوَانَ تَتَغَذَّى بِالنَّبَاتِ الْخَارِجِ مِنَ الْأَرْضِ، وَالنَّبَاتُ يَتَغَذَّى بِالْمَطَرِ النَّازِلِ مِنَ السَّمَاءِ إِذَا جَرَتْ الرِّيحُ فَأَثَارَتِ السَّحَابَ، وَأَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَجْرِيَانِ فِي الْفَلَكَ عَلَى تَرْتِيبٍ مَخْصُوصٍ، وَفِيهِمَا مَنَافِعٌ: مِنْ إِصْلَاحِ الثَّمَارِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْتِلَافِ الْفُصُولِ، وَمَعْرِفَةِ السِّنِينَ وَالشُّهُورِ، فَانْظُرْ ارْتِبَاطَ أَمْرِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّحَابِ وَالرِّيحِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَظْهَرُ لَكَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مُسَخَّرٌ بِقُدْرَةِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

= يَدْعُوهُمْ الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ تَعَالَى ﴿يَبْتَغُونَ﴾ وَيَطْلُبُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ﴿إِلَّا رَبَّهُمْ﴾ الْمُدَبِّرَ لَهُمْ وَمَالِكِ أُمُورِهِمُ الْمُقَدِّرَ لِأَحْوَالِهِمْ ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] أَي: الْقُرْبَةَ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَى الْغَيْرِ وَطَلَبَ الْوَسِيلَةَ لَمْ يَصَحَّ لِأَنَّهُ يُطْلَقُ عَلَيْهِ لَفْظُ الْإِلَهِ، وَمَعْنَى كَوْنِهِمْ آلِهَةً مُتَافٍ لِلذِّكْرِ، وَالْمَعْنَى عَلَى هَذَا أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ لَمْ يَكُونُوا آلِهَةً، بَلْ عِبَادٌ مُحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، وَالْمُرَادُ بِالْآلِهَةِ: مَنْ عُبِدَ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ كَعِيسَى وَالْعَزِيزِ عَلَيْهِمَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ وُجُودُ مَلِكَيْنِ مُتَصَرِّفَيْنِ فِي مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَمَّا كَانَ الْعَالَمُ يُشَبَّهُ الْمَدِينَةَ الْوَاحِدَةَ فِي انْتِظَامِهِ وَارْتِبَاطِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ، لَمْ يُمْكِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ إِلَّا رَبٌّ وَاحِدٌ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَاهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] (١).

❖ مَسْأَلَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى النَّصَارَى:

اعْلَمْ أَنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ - عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَرَسُولٌ مِنْ رُسُلِهِ، خَلَقَهُ اللَّهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ مَرْيَمَ الصَّدِّيقَةِ مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ، وَظَهَرَتْ عَلَى يَدَيْهِ مُعْجَزَاتٌ تَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ وَرِسَالَتِهِ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: مِنْ كَلَامِهِ فِي الْمَهْدِ، وَإِحْيَائِهِ الْمَوْتَى وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكُلُّهَا وَاقِعَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ.

وَعَلَّتِ النَّصَارَى - لَعْنَهُمُ اللَّهُ - فِي أَمْرِهِ، وَكَفَرُوا كُفْرًا شَنِيعًا لَا تَقْبَلُهُ الْعُقُولُ وَلَا تَرْضَاهُ الْمِلَلُ، وَقَدْ دَعَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى الرُّجُوعِ عَنْ كُفْرِهِمْ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: هَذَا بُرْهَانٌ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَيَبَيِّنُهُ أَنْ يَقَالَ: لَوْ كَانَ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرٌ لَانْفَرَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمَخْلُوقَاتِهِ عَنْ مَخْلُوقَاتِ الْآخَرِ، وَاسْتَبَدَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِمُلْكِهِ وَطَلَبَ غَلْبَةَ الْآخَرِ وَالْعُلُوَّ عَلَيْهِ، كَمَا تَرَى حَالَ مُلُوكِ الدُّنْيَا، وَلَكِنْ لَمَّا رَأَيْنَا جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ مُرْتَبِطَةً بَعْضُهَا بِبَعْضٍ حَتَّى كَانَ الْعَالَمُ كُلُّهُ كُرَّةً وَاحِدَةً عَلِمْنَا أَنَّ مَالِكَهُ وَمُدَبِّرَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ. (التسهيل، ص ٥٥٦).

وَبَاطِلِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَاهَدَ الْكُتُبُ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] ^(١)، إلى قوله: ﴿لَنْ يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢].

وَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فَاُمْتَنَعُوا لِعِلْمِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ، وَخَافُوا نُزُولَ الْعَذَابِ بِهِمْ، وَأَسْلَمَ مَنْ وَفَّقَهُ اللَّهُ كَالنَّجَاشِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَاخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ النَّصَارَى فِي عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ عِلْمٌ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِ وَلَا عِنْدَهُمْ فِيهِ دَلِيلٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا أَخَذُوا دِينَهُمُ الْفَاسِدَ عَمَّنْ لَا يُوثِقُ بِهِ، وَبَنَوْهُ عَلَى أَكَاذِيبٍ وَمَنَامَاتٍ وَأُمُورٍ لَا تَصِحُّ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى ضَالِّينَ.

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: «عِيسَى وَلَدُ اللَّهِ»، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَقَالُوا أَخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦].

(١) قال ابنُ جُزَيٍّ: هَذَا خِطَابٌ لِلنَّصَارَى لِأَنَّهُمْ غَلَوُا فِي عِيسَى حَتَّى كَفَرُوا، فَلَفَظُ «أَهْلُ الْكِتَابِ» عُمُومٌ يُرَادُ بِهِ الْخُصُوصُ فِي النَّصَارَى بِدَلِيلٍ مَا بَعْدَهُ، وَالْعُلُوُّ: هُوَ الْإِفْرَاطُ وَتَجَاوُزُ الْحَدِّ، وَ«كَلِمَتُهُ» أَيُّ: مُكُونٌ عَنْ كَلِمَتِهِ وَالَّتِي هِيَ «كُنْ» مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ أَبِ وَلَا نُطْقَةٍ، وَ«رُوحٌ مِنْهُ» أَيُّ: ذُو رُوحٍ مِنَ اللَّهِ، فَ«مِنْ» هُنَا لِإِبْتِدَاءِ الْغَايَةِ، وَالْمَعْنَى: مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَجَعَلَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَ بِهِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مَرْيَمَ. (التسهيل، ص ٥٥٦).

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ عِيسَى، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧].

وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالتَّثْلِيثِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوءًا كَبِيرًا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ: «إِنَّ عِيسَى وَلَدُ اللَّهِ» مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ وَلَدًا مِنْ غَيْرِ وَالِدٍ، كَمَا قَدَّرَ عَلَى أَنْ خَلَقَ آدَمَ مِنْ غَيْرِ أُمٍّ وَلَا وَالِدٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] ^(١).

* الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ الْوَلَدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ جِنْسٍ وَالِدِهِ، وَالزَّوْجَةَ مِنْ صِنْفٍ زَوْجِهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَقَدْ كَانَ عِيسَى وَأُمُّهُ مِنْ صِنْفِ بَنِي آدَمَ، فَيَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ لِلَّهِ وَلَدٌ وَلَا زَوْجَةٌ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَا يَاسْكُلَانِ الْطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] ^(٢).

(١) قال ابنُ جُزَيٍّ: الْآيَةُ حُجَّةٌ عَلَى النَّصَارَى فِي قَوْلِهِمْ: «كَيْفَ يَكُونُ ابْنُ دُونَ أَبٍ؟»، فَمَثَلُهُ اللَّهُ بِآدَمَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ دُونَ أُمٍّ وَلَا أَبٍ، وَذَلِكَ أَغْرَبُ مِمَّا اسْتَبَعَدُوهُ، فَهُوَ أَقْطَعُ لِقَوْلِهِمْ. (التسهيل، ص ١٤٢).

(٢) قال ابنُ جُزَيٍّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَنَا يَاسْكُلَانِ الْطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] اسْتِدْلَالٌ =

* الوجه الثالث: أَنَّ الزَّوْجَةَ وَالْوَلَدَ إِنَّمَا يَتَّخِذَانِ لِلْحَاجَةِ إِلَيْهِمَا، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَصِحُّ عَلَيْهِ الْاِحْتِيَاجُ إِلَى غَيْرِهِ، فَلَا يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَا زَوْجَةً. وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

* والوجه الرابع: أَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ غَيْرُهُ؛ لِأَنَّهُ خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، فَلَا يَكُونُ وَلَدًا لَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [٩٢ - ٩٣]. وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»، فَبَاطِلٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

- الأول: أَنَّ الْمَسِيحَ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ.

- الثاني: أَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ وَيَجُوعُ وَيَعْطَشُ وَيَتَأَمُّ وَتَجْرِي عَلَيْهِ الْأُمُورُ الْبَشَرِيَّةُ، وَذَلِكَ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

- الثالث: أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ صَلِبَ وَقُتِلَ، وَذَلِكَ يُنَاقِضُ قَوْلَهُمْ: «إِنَّهُ هُوَ اللَّهُ» تَعَالَى! لِأَنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَكَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ عِيسَى

= عَلَى أَنَّهُمَا لَيْسَا بِالْهَيْنِ؛ لِاِحْتِيَاجِهِمَا إِلَى الْغِذَاءِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ إِلَّا مُحَدَّثٌ مُفْتَقِرٌ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَيْسَ بِإِلَهِ؛ لِأَنَّ الْإِلَهَ مُنَزَّهٌ عَنِ صِفَةِ الْحُدُوثِ وَعَنْ كُلِّ مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ. (التسهيل، ص ٢٣١).

صَلِبَ وَقُتِلَ، وَإِنَّمَا تَلَقَّوْا ذَلِكَ مِنْ أَكَاذِبِ الْيَهُودِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥].

ثُمَّ إِنَّهُمْ بَنَوْا عَلَى كَذِبِهِمْ فِي الصَّلْبِ عِبَادَةَ الصَّلِيبِ، فَظَهَرَ أَنَّ دِينَهُمْ بَاطِلٌ مَبْنِيٌّ عَلَى بَاطِلٍ مَبْنِيٍّ عَلَى بَاطِلٍ آخَرَ، وَسَيَنْزِلُ عِيسَى إِلَى الْأَرْضِ فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ.

- الرابع: أَنَّ عِيسَى كَانَ صَغِيرًا ثُمَّ كَبُرَ، وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ ذَلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُ مَنْ قَالَ مِنْهُمْ: «إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ»، فَذَلِكَ بَاطِلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ:

- الأول: مَا قَدَّمَ نَاهُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ وَاسْتِحَالَةِ وُجُودِ الْهَيْنِ.

- الثاني: أَنَّ عِيسَى وَمَرْيَمَ كَانَا يَعْبُدَانِ اللَّهَ تَعَالَى وَيُصَلِّيَانِ وَيَصُومَانِ، وَلَوْ كَانَا إِلَهَيْنِ لَمْ يَعْبُدَا غَيْرَهُمَا، وَقَدْ اعْتَرَفَ عِيسَى بِأَنَّ اللَّهَ رَبُّهُ تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى عَنْهُ: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢]^(١)، وَذَلِكَ أَيْضًا مَوْجُودٌ فِي الْإِنْجِيلِ الَّذِي بِيَايَدِهِمْ.

- الثالث: أَنَّ عِيسَى وَمَرْيَمَ كَانَا تَجْرِي عَلَيْهِمَا الْأُمُورُ الْبَشَرِيَّةُ، وَهِيَ لَا تَجْرِي عَلَى الْإِلَهِ.

(١) قال ابنُ جُرَيٍّ: الْآيَةُ رَدٌّ عَلَى النَّصَارَى وَتَكْذِيبٌ لَهُمْ. (التسهيل، ص ٢٣١).

❖ مَسْأَلَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ دِينِهِمْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:

- الْأَوَّلُ: أَنَّ الْأَصْنَامَ مُحَدَّثَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَصْنَعُونَهَا بِأَيْدِيهِمْ، وَالْمُحَدَّثُ لَا يَكُونُ إِلَهًا، وَلِذَلِكَ وَبَّخَهُمُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿[الصافات: ٩٥ - ٩٦] (١).

- الثَّانِي: أَنَّهَا لَا تَتَّصِفُ بِصِفَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ: مِنَ الْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْقُدْرَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلِذَلِكَ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ: ﴿يَتَأْتِيَ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مریم: ٤٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨] (٢).

- الثَّالِثُ: أَنَّهَا يَطْرَأُ عَلَيْهَا الْفَنَاءُ وَالْهَوَانُ، أَلَا تَرَى كَيْفَ جَعَلَهَا إِبْرَاهِيمُ جُذَاذَا لِيُقِيمَ بِذَلِكَ الْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ؟

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: ذَهَبَ قَوْمٌ إِلَى أَنَّ «مَا» مُصَدَّرِيَّةٌ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَأَعْمَلَكُمْ، وَهَذِهِ الْآيَةُ عِنْدَهُمْ قَاعِدَةٌ فِي خَلْقِ أَفْعَالِ الْعِبَادِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا مُوصُولَةٌ، بِمَعْنَى «الَّذِي»، وَالْمَعْنَى: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ أَصْنَامَكُمْ الَّتِي تَعْمَلُونَهَا، وَهَذَا الْبَيِّنُ بِسِيَاقِ الْكَلَامِ وَأَقْوَى فِي قَصْدِ الْاجْتِنَاجِ عَلَى الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ. (التسهيل، ص ٧٠٧).

(٢) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: الْآيَةُ رَدٌّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَبُرْهَانٌ عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَرُوي أَنَّ سَبَبَهَا أَنَّ الْمُشْرِكِينَ خَوَّفُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ آلِهَتِهِمْ، فَتَرَكْتُ الْآيَةَ مُبَيِّنَةً أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ. (التسهيل، ص ٧٣٥).

وَلَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ دَخَلَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَوْلَ الْبَيْتِ أَصْنَامٌ مَشْدُودَةٌ بِالرِّصَاصِ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشِيرُ بِقَضِيْبٍ فِي يَدِهِ إِلَى الْأَصْنَامِ وَهُوَ يَقُولُ: «جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»، فَمَا أَشَارَ إِلَى صَنَمٍ مِنْهَا فِي وَجْهِهِ إِلَّا وَقَعَ لِقْفَاهُ، وَلَا أَشَارَ إِلَى قَفَاهُ إِلَّا وَقَعَ لَوَجْهِهِ، حَتَّى مَا بَقِيَ مِنْهَا صَنَمٌ إِلَّا وَقَعَ (١).

- الرَّابِعُ: مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ.

❖ مَسْأَلَةٌ: فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَجُوسِ.

فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ الْخَيْرَ مِنَ النُّورِ، وَالشَّرُّ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَفِي الرَّدِّ عَلَى الَّذِينَ عَبَدُوا النَّارَ وَالشَّمْسَ أَوْ شَبَهَهَا.

وَالدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

- الْأَوَّلُ: مَا قَدَّمْنَاهُ مِنْ دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ.

- الثَّانِي: أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْكَوَاكِبَ وَالنُّورَ وَالظُّلْمَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ يَظْهَرُ فِيهَا أَثَرُ الصُّنْعَةِ وَدَلَائِلُ الْحُدُوثِ، وَانْظُرْ اسْتِدْلَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَقْوَلِهَا عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ أَرْبَابًا، وَانْظُرْ مَا يَجْرِي عَلَيْهَا مِنَ التَّغْيِيرِ بِالْكَسُوفِ وَغَيْرِهِ يَظْهَرُ لَكَ حُدُوثُهَا وَافْتِقَارُهَا، وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ

(١) السِّيَرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِابْنِ هِشَامٍ (ج ٢/ص ٤١٧) طَبَعَهُ مُؤَسَّسَةُ عُلُومِ الْقُرْآنِ، وَيَنْظُرُ أَيْضًا صَحِيحُ مُسْلِمٍ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ فَتْحِ مَكَّةَ.

إِلَهًا وَلَا فَاعِلًا لِّشَيْءٍ مِنَ الْحَوَادِثِ .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]^(١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ قَوْلَهُمْ مُجَرَّدُ دَعْوَى لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا.

❖ مَسْأَلَةٌ: فِي الرَّدِّ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ بِتَأْثِيرِ الطَّبِيعَةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا تَتَّصِفُ بِالْحَيَاةِ، وَلَا بِالْقُدْرَةِ، وَلَا بِالْإِرَادَةِ، فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهَا فِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ.

* الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ اخْتِلَافَ الْأَشْيَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الطَّبِيعَةَ غَيْرُ مُؤَثَّرَةٍ؛ لِأَنَّهَا لَا يَصْدُرُ مِنْهَا إِلَّا نَوْعٌ وَاحِدٌ، وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَمَّا تَرَأَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]^(٢).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: فِي الْآيَةِ رَدٌّ عَلَى الْمُجُوسِ فِي عِبَادَتِهِمُ النَّارَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَنْوَارِ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ الْخَيْرَ مِنَ النَّورِ وَالشَّرُّ مِنَ الظُّلْمَةِ؛ فَإِنَّ الْمَخْلُوقَ لَا يَكُونُ إِلَهًا وَلَا فَاعِلًا لِّشَيْءٍ مِنَ الْحَوَادِثِ. (التسهيل، ص ٢٤٥).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ يُرِيدُ الصُّفْرَةَ وَالْحُمْرَةَ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَلْوَانِ، وَقِيلَ: =

وقوله: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: ٤]^(١).

*** ** *

= يُرِيدُ الْأَنْوَاعَ، وَالْأَوَّلُ أَظْهَرَ لِذِكْرِهَ الْبَيْضَ وَالْحُمْرَ وَالسُّودَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَفِي الْوَجْهَيْنِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى فَاعِلٌ مُخْتَارٌ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَفِيهِ رَدٌّ عَلَى الطَّبَائِعِيِّينَ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ لَا يَصْدُرُ عَنْهَا إِلَّا نَوْعٌ وَاحِدٌ. (التسهيل، ص ٦٨٦).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ حُجَّةٌ وَبُرْهَانٌ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى قَادِرٌ وَمُرِيدٌ؛ لِأَنَّ اخْتِلَافَ مَذَاقِهَا وَأَشْكَالِهَا وَأَلْوَانِهَا مَعَ اتِّفَاقِ الْمَاءِ الَّذِي تُسْقَى بِهِ دَلِيلٌ عَلَى الْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ، وَفِي ذَلِكَ رَدٌّ عَلَى الْقَائِلِينَ بِالطَّبِيعَةِ. (التسهيل، ص ٤٠٢).

فَكُلُّ صِفَةٍ نَقَصٍ يَكْرَهُهَا الْعَبْدُ لِنَفْسِهِ فَاللَّهُ تَعَالَى مُنَزَّهٌ عَنْهَا، وَمَوْصُوفٌ بِأَعْلَى الصِّفَاتِ.

* الْوَجْهَ الثَّانِي: أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ وَرَدَ بِهَا الشَّرْعُ، فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهَا.

قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِهِ بِالْحَيَاةِ^(١): ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]^(٢).

وَقَالَ فِي الْعِلْمِ^(٣): ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: فَأَمَّا الْحَيَاةُ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْأَوَّلُ الْقَدِيمُ، الَّذِي لَمْ يَزَلْ فِي أَرْزُلِ الْأَزَلِ قَبْلَ وُجُودِ الْأَزْمَانِ، وَلَمْ يَكُنْ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ، وَأَنَّهُ الْحَيُّ الْبَاقِي الْآخِرُ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. (القوانين الفقهية، ص ٢٨).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ بَعْضُ السَّلَفِ فَقَالَ: لَا يَنْبَغِي لِلَّذِي لَدَيْ عَقْلٍ أَنْ يَتَّقَ بَعْدَهَا بِمَخْلُوقٍ؛ فَإِنَّهُ يَمُوتُ. (التسهيل، ص ٥٨٧).

(٣) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَأَمَّا الْعِلْمُ، فَإِنَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ - عَالِمٌ بِجَمِيعِ الْمَعْلُومَاتِ، مُحِيطٌ بِمَا تَحْتَ الْأَرْضِ السُّفْلَى إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ؛ ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢] ﴿وَأَخَصَّ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٨] وَعَلِمَ مَا كَانَ وَمَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَكُونُ لَوْ كَانَ كَيْفَ كَانَ يَكُونُ. وَهُوَ حَاضِرٌ بِعِلْمِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَرَقِيبٌ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ، ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣] قَدْ اسْتَوَى عِنْدَهُ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ، وَاطَّلَعَ عَلَى مُخَبَّاتِ السَّرَائِرِ وَمَكْنُونَاتِ الضَّمَائِرِ، حَتَّى أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَهْجِسُ فِي نَفْسِ الْحَيَّاتَانِ فِي قُعُورِ الْبِحَارِ؛ ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الملك: ١٣]. (القوانين الفقهية، ص ٢٨).

الفصل الثالث في إثبات صفات الله تعالى

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَأَنَّهُ الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْآخِرُ الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وَأَنَّهُ مُرِيدٌ لِلْكَائِنَاتِ، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]، فَلَا يَجْرِي فِي الْمَلَكُوتِ شَيْءٌ إِلَّا بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ وَمَشِئَتِهِ، فَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ وَيَرَى كُلَّ شَيْءٍ.

وَيَدُلُّ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ ثَلَاثَةُ أَوْجُهٍ:

* الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: أَنَّ هَذِهِ الصِّفَاتِ صِفَاتُ كَمَالٍ وَجَلَالٍ، وَأَضْدَادُهَا صِفَاتُ نَقْصٍ كَالْعَجْزِ وَالْجَهْلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَتَّصِفُ بِالنَّقَائِصِ، فَوَجَبَ وَصْفُهُ بِأَضْدَادِهَا.

وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]،

وَقَالَ فِي الْإِرَادَةِ^(١): ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧].

وَقَالَ فِي الْقُدْرَةِ^(٢): ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وَقَالَ فِي الْكَلَامِ^(٣): ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: وَأَمَّا الْإِرَادَةُ، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْمُرِيدُ لِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، الْمُدَبِّرُ لِلْحَادِثَاتِ، الْمُقَدِّرُ لِلْمَقْدُورَاتِ، الْفَعَالُ لِمَا يُرِيدُ. فَكُلُّ نَفْعٍ وَضَرْ، وَحُلُوٍّ وَمُرٍّ، وَكُفْرٍ وَإِيمَانٍ، وَطَاعَةٍ وَعِصْيَانٍ، وَزِيَادَةٍ وَنَقْصَانٍ، وَرِنَحٍ وَخُسْرَانٍ، فَيُرَادُ فِيهِ الْقَدِيمَةُ، وَقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَمَشِيئَتِهِ الْحَكِيمَةُ، لَا زَادَ لِأَمْرِهِ، وَلَا مُعَقَّبٌ لِحُكْمِهِ، وَلَا اعْتِرَاضٌ عَلَيْهِ فِي فِعْلِهِ؛ ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. كُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَذْلٌ، اقْتَضَى ذَلِكَ مُلْكُهُ وَحِكْمَتُهُ، فَالْمَالِكُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ فِي مُلْكِهِ، وَالْمَلِكُ يَحْكُمُ بِمَا أَرَادَ عَلَى مَمَالِيكِهِ، وَالْحَكِيمُ أَعْلَمُ بِمَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ؛ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]. قَدَّرَ أَرْزَاقَ الْخَلْقِ وَأَجَالَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَشَقَاوَتَهُمْ وَسَعَادَتَهُمْ؛ ﴿كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]. (القوانين الفقهية، ص ٢٨).

(٢) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: وَأَمَّا الْقُدْرَةُ، فَإِنَّهُ قَدِيرٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَصْعُبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَيَبِيدُهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ قُدْرَتَهُ فِي اخْتِرَاعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَإِمْسَاكِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَتُقُودِ أَمْرِهِ فِي التَّصَرُّفِ فِي الْمَخْلُوقَاتِ؟! فَفِي كُلِّ يَوْمٍ يُمِيتُ وَيُحْيِي، وَيَخْلُقُ وَيُهْنِي، وَيَفْقِرُ وَيُعْنِي، وَيَهْدِي وَيُضِلُّ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَخْفِضُ وَيَرْفَعُ، وَيُسْعِدُ وَيُسْهِقُ، وَيَعَافِي وَيَنْتَلِي؛ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. (القوانين الفقهية، ص ٢٨).

(٣) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: وَأَمَّا الْكَلَامُ فَإِنَّهُ جَلٌّ وَعَزٌّ مُتَكَلِّمٌ بِصِفَةِ أَرْزَلَةٍ لَيْسَتْ بِحَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ، وَلَا يَقْبَلُ الْعَدَمَ، وَلَا مَا فِي مَعْنَاهُ مِنَ السُّكُوتِ، وَلَا التَّعْيِضَ، وَلَا التَّقْدِيمَ، وَلَا التَّأْخِيرَ، الَّذِي لَا يُشَبِّهُ كَلَامَ الْمَخْلُوقِينَ، كَمَا لَا تُشَبِّهُ ذَاتُهُ ذَوَاتَ الْمَخْلُوقِينَ، لَا تَنْفَدُ كَلِمَاتُهُ، كَمَا لَا تُحْصَى مَعْلُومَاتُهُ، وَلَا تَنْحَصِرُ مَقْدُورَاتُهُ؛ ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا =

وَقَالَ فِي السَّمْعِ وَالْبَصَرِ^(١): ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

وَقَدْ جَاءَ وَصْفُ اللَّهِ تَعَالَى بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ.

* الْوَجْهُ الثَّالِثُ: الْاسْتِدْلَالُ عَلَى كُلِّ صِفَةٍ بِدَلِيلِهَا.

وَذَلِكَ أَنَّ مَصْنُوعَاتِهِ - سُبْحَانَهُ - مُحْكَمَةُ الصَّنْعَةِ، وَمَخْلُوقَاتِهِ مُثَقَّنَةُ الْخَلْقَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ﴾ [السجدة: ٧].

فَدَلَّ تَصَرُّفُهُ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَتَدْبِيرُهُ لِلْمَلَكُوتِ، وَحِفْظُهُ لِلْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ عَلَى حَيَاتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَمَعْنَى الْقَيُّومِ^(٢): الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَإِحَاطَةً.

= لِكَلِمَتِ رَبِّي لِنَفْدِ الْبَحْرِ قَبْلَ أَنْ نَنْفَدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. (القوانين الفقهية، ص ٢٩).

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: وَأَمَّا السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، فَإِنَّهُ تَعَالَى سَمِيعٌ بَصِيرٌ، لَا يَعُزُّبُ عَنْ سَمْعِهِ مَسْمُوعٌ وَإِنْ خَفِيَ، وَلَا يَغِيبُ عَنْ رُؤْيَيْهِ مَرِيٌّ وَإِنْ دَقَّ؛ ﴿يَعْلَمُ الْسِرَّ وَخَفِيَ﴾ [طه: ٧] حَتَّى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ؛ ﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وَمَا أَحْسَنَ تَعْقِيبَ هَذَا بِإِبْرَاهَانَ: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]. (القوانين الفقهية، ص ٢٨).

(٢) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: قَيُّومٌ: اسْمُ اللَّهِ تَعَالَى، وَزُنْهُ فَيَعُولٌ، وَهُوَ بِنَاءٌ مُبَالَغَةٌ مِنَ الْقِيَامِ عَلَى الْأُمُورِ، مَعْنَاهُ: مُدَبِّرُ الْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْهُ: ﴿قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ [الرعد: ٣٣]. (التسهيل، ص ٣٩).

وَدَلَّ صُنْعُهُ لَهَا عَلَى قُدْرَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى تَنْبِيْهَا عَلَى ذَلِكَ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]، وَقَالَ: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢].

وَدَلَّ إِتْقَانُهُ عَلَى عِلْمِهِ وَبَصَرِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك: ١٤] ^(١).

وَدَلَّ تَخْصِيصُهُ لَهَا بِأَشْكَالِهَا وَأَرْزَامَانِهَا عَلَى إِرَادَتِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِ شَاءَ إِنْشَاءً وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

وَدَلَّ إِنْزَالُهُ الْكُتُبَ وَأَمْرُهُ وَنَهْيُهُ عَلَى كَلَامِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاجِرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] ^(٢).

وَيَدُلُّ اسْتِجَابَتُهُ لِلدُّعَاءِ عَلَى سَمْعِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢].

❖ مَسْأَلَةٌ:

لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَالصِّفَاتُ الْعُلَى الَّتِي وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: هَذَا بُرْهَانٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّ الْخَالِقَ يَعْلَمُ مَخْلُوقَاتِهِ. (التسهيل، ص ٩٠٧).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ: هُوَ مِنَ الْجَوَارِ، أَيُّ: اسْتَأْمَنَكَ قَائِمُهُ حَتَّى يَسْمَعَ الْقُرْآنَ لِيَرَى هَلْ يُسَلِّمُ أَمْ لَا. (التسهيل، ص ٣٢٨).

بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» ^(١).

*** ** *

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ، بَابِ: لِلَّهِ مِائَةُ اسْمٍ غَيْرِ وَاحِدٍ؛ وَمُسَلِّمٌ فِي الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ، بَابِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا.

وَأَنَّهُ لَا يَجْرِي عَلَيْهِ الْخَطَأُ وَلَا النَّسْيَانُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

الفصل الرابع في تنزيه الله تعالى

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَهُ الْجَلَالُ الْأَعْظَمُ، وَالْكَمَالُ الْمُطْلَقُ، الَّذِي تَنَزَّهَ عَنْ كُلِّ عَيْبٍ، وَتَبَرَّأَ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِنَا: «سُبْحَانَ اللَّهِ»^(١).

وَأَنَّهُ لَا يَعْتَرِيهِ عَجْزٌ وَلَا قُصُورٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، وَاللُّغُوبُ: هُوَ الْإِعْيَاءُ وَالتَّعَبُ.

وَأَنَّهُ لَا يَغْفُلُ وَلَا يَنَامُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]^(٢).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «سُبْحَانَ»: تَنْزِيهٌ، وَ«سَبَّحْتُ اللَّهَ» أَيُّ: تَرَهُّتُهُ عَمَّا لَا يَلِيْقُ بِهِ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْوَلَدِ وَالشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ وَصِفَاتِ الْحُدُوثِ وَجَمِيعِ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ. (التسهيل، ص ٤٠).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ» تَنْزِيهٌ لِلَّهِ عَنِ الْأَفَاتِ الْبَشَرِيَّةِ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ السَّنَةِ وَالنَّوْمِ أَنَّ السَّنَةَ: هِيَ ابْتِدَاءُ النَّوْمِ، لَا نَفْسُهُ، كَقَوْلِ الْقَائِلِ: فِي عَيْنِهِ سِنَّةٌ وَلَيْسَ بِنَائِمٍ. (التسهيل، ص ١١٨).

وَأَنَّهُ عَدْلٌ فِي جَمِيعِ أَحْكَامِهِ وَأَفْعَالِهِ، لَا يَظْلِمُ وَلَا يَجُورُ.

وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ، وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ؛ لِأَنَّهُ مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِلْمَالِكِ أَنْ يَفْعَلَ فِي مُلْكِهِ مَا يَشَاءُ، وَيَتَصَرَّفَ فِي عِبَادِهِ كَمَا يَشَاءُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وَأَنَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُ شَيْئًا، وَلَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧].

❖ تَنْبِيْهٌ وَنَصِيحَةٌ:

اعْلَمْ أَنَّهُ وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ أَلْفَاظٌ يُوْهِمُ ظَاهِرُهَا التَّشْبِيهَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ [طه: ٥]، وَحَدِيثِ النَّزُولِ^(٢) وَغَيْرِ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» تَنْزِيهٌ لِلَّهِ تَعَالَى عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ. قَالَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الْكَافُ زَائِدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ مِثْلُهُ شَيْءٌ. وَقَالَ الطَّبْرِيُّ وَغَيْرُهُ: لَيْسَتْ بِزَائِدَةٍ، وَلَكِنْ وَضَعَ «مِثْلُهُ» مَوْضِعَ هُوَ، وَالْمَعْنَى: لَيْسَ كَهُوَ شَيْءٌ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَهَذَا كَمَا تَقُولُ: مِثْلُكَ لَا يَبْخُلُ، وَالْمُرَادُ: أَنْتَ لَا تَبْخُلُ، فَتَقَى الْبُخْلَ عَنْ مِثْلِهِ وَالْمُرَادُ نَفْسُهُ عَنْ ذَاتِهِ. (التسهيل، ص ٧٦٢).

(٢) وَهُوَ الْحَدِيثُ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّهَجُّدِ، بَابِ الدُّعَاءِ وَالصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ؛ =

ذَلِكَ، فَيَجِبُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُؤْمِنَ بِهَا مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَعْطِيلٍ وَلَا تَأْوِيلٍ، وَيَكِلَ عِلْمَهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَقُولُ: «أَمَنْتُ بِمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِمَا قَالَ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِالْمَعْنَى الَّتِي أَرَادَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ».

وَهَذَا طَرِيقَةُ التَّسْلِيمِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى السَّلَامَةِ، وَهِيَ الَّتِي أَتَى اللَّهُ عَلَى مَنْ اتَّصَفَ بِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا» [آل عمران: ٧].

وَعَلَى هَذَا كَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَأُئِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ كَذَلِكَ، وَالشَّافِعِيُّ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَسُفْيَانُ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ، وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ يَجِبُ الْإِفْتِدَاءُ بِهِمْ وَالِاتِّبَاعُ لَطَرِيقَتِهِمْ.

= وَمُسْلِمٌ فِي صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ، بَابِ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُنْزِلُ رَبِّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ».

قَالَ الْقَاضِي عِيَّاضٌ: رَوَى ابْنُ حَبِيبٍ عَنْ مَالِكٍ: «يُنْزِلُ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ، وَأَمَّا هُوَ تَعَالَى فَدَائِمٌ لَا يَزُولُ». وَقَالَ غَيْرُهُ. وَاعْتَرَضَ بَعْضُهُمْ عَلَى هَذَا بِأَنَّ أَمْرَهُ يَنْزِلُ فِي كُلِّ حِينٍ، فَلَا يَخْتَصُّ بَوَاقٍ دُونَ وَاقٍ. وَهَذَا لَا يَلْزَمُ لِأَنَّ الَّذِي يَخْتَصُّ نَزُولُ أَمْرِهِ بِهِ هَذَا الْوَقْتُ هُوَ مَا افْتَرَنَ بِهَذَا الْقَوْلِ: «هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟» الْحَدِيثُ، وَأَمْرُهُ يَنْزِلُ أَبَدًا مِنْ غَيْرِ هَذِهِ الْقَرِينَةِ. وَقِيلَ: هُوَ مَجَازٌ، أَيْ: يَبْسُطُ رَحْمَتَهُ. وَقِيلَ: هُوَ عِبَارَةٌ عَنْ بَسْطِ رَحْمَتِهِ وَقُرْبِ إِجَابَتِهِ. (مشارك الأنوار، ج ٢/ص ٩).

القاعدة الثانية

في الكلام في الأنبياء والملائكة والأئمة وإصحابه
وفيها أربعة فصول

الفصل الأول في إثبات النبوت

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ إِلَى الْخَلْقِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْكُتُبَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ، وَفَضَّلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَأَوَّلُهُمْ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى جَمِيعِهِمْ.

وَيَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِمْ فِي دَعْوَى النُّبُوَّةِ: مَا ظَهَرَ عَلَى أَيْدِيهِمْ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ الْخَوَارِقِ لِلْعَادَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ»^(١).

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي بَعَثِ الْأَنْبِيَاءِ وَجُوهًا مِنَ الْحِكْمَةِ:

* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ عُقُولَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ، وَمَذَاهِبُهُمْ تَتَبَايَنُ،

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بعثت بجوامع الكلم؛ ومسلم في الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَبَعَثَ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ لِيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

* **الوجه الثاني:** أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ، وَشَرَعَ لَهُمْ شَرَائِعَ مِنَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَقِفُونَ عِنْدَهَا، وَجَعَلَ الْأَنْبِيَاءَ وَاسِطَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ لِيُبَلِّغُوهُمْ عَنْهُ مَا شَرَعَ لَهُمْ، فَلَوْ لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ الْأَنْبِيَاءَ لَضَلَّ الْخَلْقُ وَلَمْ يَعْرِفُوا كَيْفَ يَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَمْ يَعْلَمُوا مَا يَفْعَلُونَ وَلَا مَا يَتْرَكُونَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَةَ الرُّسُلِ عَلَى خَلْقِهِ فَقَالَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤].

* **الوجه الثالث:** أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ الْأَنْبِيَاءَ لِيُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى الْخَلْقِ وَيَقْطَعَ أَعْدَارَهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]^(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قِيلَ: إِنَّ هَذَا فِي حُكْمِ الدُّنْيَا، أَيْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُهْلِكُ أُمَّةً إِلَّا بَعْدَ الْإِعْدَارِ إِلَيْهِمْ بِإِرْسَالِ رَسُولٍ إِلَيْهِمْ. وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ فِي الْآخِرَةِ قَوْمًا إِلَّا وَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا فَكَفَرُوا بِهِ وَعَصَوْهُ، وَيَكْدُلُ عَلَى هَذَا قَوْلُهُ: ﴿كَلَّمَ آلَ فِرْعَوْنَ فِيهِمْ سَالِمٌ خَزَنَتُهَا أَنْ يَأْتِيَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨ - ٩]، وَمِنْ هَذَا يُؤْخَذُ حُكْمُ أَهْلِ الْفِتْرَةِ. وَاسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ التَّكْلِيفَ لَا يَلْزِمُ الْعِبَادَ إِلَّا مِنَ الشَّرْعِ، لَا مِنْ مُجَرَّدِ الْعَقْلِ. (التسهيل، ص ٤٥١).

عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]^(١)، وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ يَقُولُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿يَمْعَشِرَ الْإِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠].

*** ** *

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَيْ: بَعَثَهُمْ لِيُقِيمَ حُجَّةً مَنْ يَقُولُ: لَوْ أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولًا لَأَمَنْتُ. (التسهيل، ص ٢٠٨).

الفصل الثاني

في إثبات نبوة خاتم النبيين سيد المرسلين وخير الأولين والآخرين
رحمة للعالمين أبي القاسم محمد بن عبد المطلب بن هاشم
النبي الأمي لعزني اقترشي صلى الله عليه وسلم وبارك وترحم وثرى وكرم

اعلم أن الله تعالى أرسله إلى جميع الناس من العرب والعجم
وإلى الجن، وأوجب على الجميع الدخول في دينه وهو دين الإسلام
الذي لا يقبل الله غيره، ونسخ بملته جميع الملل، وختم بشريعته جميع
الشرائع؛ قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾
[الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ
فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ويدل على صحة رسالته ونبوته أدلة كثيرة^(١)، ولنجمعها في

(١) قال ابن جرير: لما كانت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم أعم، وشريعته ناسخة لما تقدم،
اقتضى ذلك أن تكون براهينه أظهر، وآياته أبهر، ودلائل صدقه أكبر وأكثر، مبالغة في
إقامة الحجة، وإيضاحاً لسُلوك المحجة، فلقد أيده الله بأنواع من الآيات الباهرة
والعلامات الظاهرة، فيها عبرة لأولي الأبصار، وما أحواله وأقواله وأفعاله إلا العجب
العجاب. (القوانين الفقهية، ص ٣٤).

خمسة أنواع:

النوع الأول ﴿القرآن المجيد الذي أنزله الله تعالى عليه؛
ولأنه لكتب عزيز﴾ لا يأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد [فصلت: ٤١ - ٤٢]

ويدل القرآن على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم من عشرة وجوه:

* الوجه الأول: فصاحته وجزالته التي يتميز بها عن سائر الكلام،
وقد اعترف بذلك من سمعه من العرب، وكذلك نظم العجيب من
مقاطع آياته وحسن تأليفه، وقد عد بعض العلماء نظمها آخر زائدا
على فصاحته.

* الوجه الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الخلق إلى الإتيان بمثله،
فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ وَلَمْ يَأْتُوا بِشَيْءٍ، مَعَ تَوْفُرِ دَوَاعِيهِمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ
وَحِرْصِهِمْ عَلَى تَكْذِيبِهِ، وفصاحة العرب في زمانه، ولو قدرُوا على شيء
من ذلك لفعلوه، ولم يرضوا بالقتل والأسر وسبي الذراري والأموال.

فدل ذلك على أنه لا يقدر عليه البشر؛ قال تعالى: ﴿وإن كنتم
في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله إن
كنتم صدقين﴾ [البقرة: ٢٣]^(١).

(١) قال ابن جرير: الآية إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم بإقامة الدليل على أن القرآن الذي
جاء به من عند الله. (التسهيل، ص ٥٩).

وَأَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨] (١).

* **الوجه الثالث:** مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَحِكَايَاتِ الْأَنْبِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِمَّا كَانَ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

* **الوجه الرابع:** مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ مِمَّا كَانَ لَمْ يَقَعْ ثُمَّ وَقَعَ عَلَى حَسَبِ مَا قَالَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وَ﴿تَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ أَسْرَارِ النَّاسِ وَمَكْنُونَاتِ صُدُورِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨]، وَ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦] وَغَيْرِ ذَلِكَ.

* **الوجه الخامس:** مَا فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ بِعَقَائِدِ الدِّينِ: مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ، وَأَحْوَالِ الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَإِقَامَةِ الدَّلَائِلِ عَلَى ذَلِكَ، وَالرَّدِّ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: عَجَزَ الْخَلْقُ عَنِ الْإِثْبَانِ بِمِثْلِهِ لِمَا تَصَمَّنَتْ مِنَ الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ، وَالْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ، وَالْمَعَانِي الْعَجِيبَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنِ النَّاسُ يَعْلَمُونَهَا وَلَا يَصِلُونَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَتْ بِهِ عَلَى الْكَمَالِ. وَقَالَ أَكْثَرُ النَّاسِ: إِنَّهُمْ عَجَزُوا عَنْهُ لِفَصَاحَتِهِ وَحُسْنِ نَظْمِهِ. وَوُجُوهُ إِعْجَازِهِ كَثِيرَةٌ قَدْ ذَكَرْنَا فِي غَيْرِ هَذَا مِنْهَا خَمْسَةٌ عَشَرَ وَجْهًا. (التسهيل، ص ٤٦٣).

عَلَى أَصْنَافِ الْأُمَمِ بِالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعَجَّرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ الْعُقُولُ وَلَا يُوَصِّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِوَحْيٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

* **الوجه السادس:** مَا شَرَعَ فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَبَيَّنَ فِيهِ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، وَهَدَى إِلَيْهِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ صَلَاحِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

* **الوجه السابع:** كَوْنُهُ مَحْفُوظًا عَنِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ، بِخِلَافِ سَائِرِ الْكُتُبِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] (١).

* **الوجه الثامن:** تَيْسِيرُهُ لِلْحِفْظِ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالمُشَاهَدَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧] (٢).

* **الوجه التاسع:** كَوْنُهُ لَا يَمَلُّهُ قَارِئُهُ وَلَا سَامِعُهُ عَلَى كَثَرَةِ التَّرْدَادِ.

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: مَعْنَى حِفْظِهِ: جَرَأَتُهُ عَنِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ كَمَا جَرَى فِي غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ، فَتَوَلَّى اللَّهُ حِفْظَ الْقُرْآنِ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى الزِّيَادَةِ فِيهِ وَلَا النُّقْصَانِ مِنْهُ وَلَا تَبْدِيلِهِ، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ فَإِنْ حِفْظُهَا مَوْكُولٌ إِلَى أَهْلِهَا؛ لِقَوْلِهِ: ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤]. (التسهيل، ص ٤٢٠).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَيْ: سَهَّلْنَاهُ لِلْحِفْظِ، وَهَذَا مَعْلُومٌ بِالمُشَاهَدَةِ؛ فَإِنَّهُ يَحْفَظُهُ الْأَطْفَالُ الْأَصَاغِرُ وَغَيْرُهُمْ حِفْظًا بَالِغًا، بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ. وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ لَمْ يُحْفَظْ شَيْءٌ مِنَ الْكُتُبِ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ إِلَّا الْقُرْآنُ. وَقِيلَ: مَعْنَى الْآيَةِ: سَهَّلْنَاهُ لِلْفَهْمِ وَالِاتِّعَاطِ بِهِ لِمَا تَصَمَّنَ مِنَ الْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْبَلِيغَةِ. (التسهيل، ص ٨٤١).

* الوجه العاشر: ما فيه من الرقى والدعوات التي يشفي بها الأمراض والآفات، كما جاء في الحديث عن رقية اللديغ بفاتحة الكتاب، وكما جاء أن قراءة آخر الحشر شفاء من كل داء إلا السام.

النوع الثاني: ما ظهر على يديه صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرة والآيات الظاهرة، وهي كثيرة جدًا، وقد قال بعض العلماء: إنها تنتهي إلى ألف معجزة، وقال بعض العلماء: لم يعط الله نبيًا من الأنبياء معجزة إلا وأعطى محمدًا صلى الله عليه وسلم في نوعها ما هو خير منها أو مثلها.

فمنها أنه انشق له القمر، ونبع الماء من بين أصابعه، وأشبع الجمع الكثير من الطعام القليل، وأخبر بكثير من الغيوب فوَقَعَتْ عَلَى حَسْبِ مَا قَالَ، وَسَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ الْحَجْرُ، وَأَقْلَبَتْ إِلَيْهِ الشَّجَرُ وَشَهِدَتْ بِبُيُوتِهِ، وَكَلَّمَتْهُ الْغَزَالَةُ وَالضَّبُّ وَشَهِدَا بِبُيُوتِهِ، وَكَلَّمَتْهُ الْحِمَارُ وَالنَّاقَةُ، وَشَهِدَ بِبُيُوتِهِ الذِّئْبُ، وَحَنَّ إِلَيْهِ الْجَذَعُ لَمَّا فَارَقَهُ، وَشَهِدَ بِبُيُوتِهِ الصَّبِيُّ يَوْمَ وُلِدَ، وَرَدَّ عَيْنَ قَتَادَةَ وَقَدْ وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ، وَأَحْيَى اللَّهُ لَهُ الْمَوْتَى، وَشَهِدَ الْمَوْتَى بِرِسَالَتِهِ، وَأَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَهُ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ: مِنْهَا رَدُّ الشَّمْسِ بَعْدَ مَا غَرَبَتْ، وَالْإِسْتِسْقَاءُ وَالْإِسْتِصْحَاءُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قِسْمَيْنِ (١):

- مِنْهَا مَا نَعَلَّمَهُ قَطْعًا: كَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَصَّ بِوُقُوعِهِ، وَلَا يُعَدَّلُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ (٢)، وَجَاءَ ذَلِكَ فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ، وَكَذَلِكَ قِصَّةُ نَبْعِ الْمَاءِ وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ رَوَاهَا الثَّقَاتُ وَالْعَدَدُ

(١) وَجَعَلَهَا ابْنُ جُرَيْ فِي كِتَابِ «الْقَوَانِينِ» ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ فَقَالَ: وَأَعْلَمَ أَنَّ مُعْجَزَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّرِيقِ إِلَى نَقْلِهَا تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ:

- الْأَوَّلُ: مَا نَقَطَعَ بِصِحَّتِهِ فَتَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا عَلَى انْفِرَادِهِ، كَالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَكَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ لَوُرُودِهِ فِي الْقُرْآنِ، وَكَنْبَعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ لِأَشْتِهَارِ ذَلِكَ وَانْتِسَارِهِ، وَعُدُولِ رَوَاتِهِ، وَوُقُوعِهِ فِي مَشَاهِدٍ عَظِيمَةٍ وَمَحَافِلٍ كَثِيرَةٍ.

- الثَّانِي: مَا نَقَطَعَ بِصِحَّةِ نَوْعِهِ لِكَثْرَةِ وَقُوعِهِ، وَإِنْ لَمْ نَقَطَعْ بِصِحَّةِ أَحَادِهِ، كَالْإِخْبَارِ بِالْغُيُوبِ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَثُرَ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى صَارَ مَجْمُوعُهُ مَقْطُوعًا بِهِ.

- الثَّالِثُ: مَا نَقَلَ نَوْعُهُ وَأَشْخَاصُهُ نَقْلَ الْأَحَادِ، وَلَكِنْ إِذَا جُمِعَ إِلَى غَيْرِهِ أَفَادَ الْقَطْعَ بِوُقُوعِ الْمُعْجَزَاتِ. (القوانين الفقهية، ص ٣٤ - ٣٥).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: «أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» [القمر: ١]: هَذَا إِخْبَارٌ عَمَّا جَرَى فِي زَمَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا سَأَلُوهُ آيَةً فَأَرَاهُمْ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَشْهَدُوا». وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: انْشَقَّ الْقَمَرُ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةٌ وَرَاءَ الْجَبَلِ وَأُخْرَى دُونَهُ. وَقِيلَ: مَعْنَى «انْشَقَّ الْقَمَرُ» أَنَّهُ يَنْشَقُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ تَرُدُّهُ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ الْوَارِدَةُ بِانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَقَدْ اتَّفَقَتِ الْأُئِمَّةُ عَلَى وَقُوعِ ذَلِكَ، وَعَلَى تَفْسِيرِ الْآيَةِ بِذَلِكَ، إِلَّا مَنْ لَا يُعْتَبَرُ قَوْلُهُ.

(التسهيل، ص ٨٣٩).

الكثير عن الجَمِّ الغفير عن العدد الكثير من الصحابة، ووقعت في مشاهد عظيمة ومحافل كبيرة.

- ومنها ما نقطع بصحة نوعه لكثرة وقوعه وإن لم نقطع بصحة أحاده: كالأخبار بالغيوب، وإجابة الدعاء، فإن ذلك كثر منه صلى الله عليه وسلم حتى صار مجموعهم مقطوعاً به وإن لم يكن كل واحدٍ منها كذلك، فإذا جمع إلى مثله اتفقا في المعنى، واجتمعا على الإتيان بالمعجز.

❦ النوع الثالث ❦ الاستدلال بما وهبه الله تعالى من الفضائل العظيمة والسمائل الكريمة، وما جمع له من السير الجميلة والمناقب الجليلة التي لا يجمعها الله تعالى إلا لأحب عباده إليه وأكرمهم عليه.

فمنها: شرف النسب، وجمال الصورة، وفور العقل، وصحة الفهم، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وكثرة العلوم، وكثرة العبادة، وحسن الخلق، والحلم، والصبر، والشكر، والزهد، والعدل، والأمانة، والصدق، والتواضع، والعفو، والعفة، والسخاء، والشجاعة، والحياء، والمروءة، والتؤدة، والوقار، والوفاء، وحسن العهد، وصلة الرحم، والشفقة، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وغير ذلك.

فقد كان صلى الله عليه وسلم جامعاً لجميع خصال الكمال، محيطاً بشتى أوصاف الجلال، بلغ في ذلك أعلى الدرجات وأبعد الغايات، ونقل

ذلك أهل الأخبار من غير خلاف بينهم في ذلك، ومن طالع أخباره صلى الله عليه وسلم وسيره تبين له ذلك، وحسبك قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

وانظر حديث أبي سفيان مع هرقل ملك الروم، وسؤاله إياه على أحواله وأخلاقه ونسبه صلى الله عليه وسلم، فلما أخبره بذلك صدق نبوته، وهو حديث صحيح خرجه البخاري وغيره.

وقال عبد الله بن سلام: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئت لأنظر إليه، فلما استبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب.

❦ النوع الرابع ❦ الاستدلال بما ظهر قبل مبعثه من العلامات، فمنها ما ظهر في مولده من العجائب: من النور الذي خرج عند ولادته، وارتجاج إيوان كسرى، وخمود نار فارس، وغير ذلك.

ومنها دعاء إبراهيم وإسماعيل - صلى الله عليه وعليهما - أن يبعثه الله في ذريتهما، قال الله تعالى حكاية عنهما: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وحفظ نسبه عليه السلام من كل عيب حتى جاء من أشرف الأحساب وأفضل البيوت، قال صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنَ الْبَشَرِ آدَمَ»^(١) إلى آخر

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (ج ٤ / ص ٨٣).

الحديث، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لَمْ يَكُنْ فِي نَسَبِنَا سِفَاحٌ، كُلُّهُ نِكَاحٌ»^(١).

وَرَدَّ اللَّهُ أَصْحَابَ الْفِيلِ عَنْ مَكَّةَ وَأَهْلَكَهُمْ مِنْ أَجْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَمِنْهَا إِشَارَةٌ مُوسَى وَعِيسَى وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ - بِمَبْعَثِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١] الْآيَةُ.

وَمِنْهَا مَا وَجَدَ مِنْ ذِكْرِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]^(٢).

وَمِنْهَا حِرَاسَةُ السَّمَاءِ بِالشُّهُبِ، وَمَنْعُ الشَّيَاطِينِ مِنْ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ مِنْ حِينَ مَبْعَثِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْجِنِّ: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلْسَمْعِ﴾ [الجن: ٩] الْآيَةُ.

(١) أوردتها القاضي عياض في الشفا (ج ١/ ص ١١٩).

(٢) وَقَدْ اسْتَطَرَّدَ ابْنُ جُزَيٍّ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ سُورَةِ الْأَعْرَافِ وَذَكَرَ مَا وَرَدَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَأَخْبَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ ذِكْرِ لِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم. (راجع التسهيل، ص ٣٠٠ - ٣٠٢).

وَمِنْهَا مَا تَرَادَفَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ عَنِ الرُّهْبَانِ وَالْأَخْبَارِ وَعُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ: مِنْ صِفَتِهِ، وَصِفَةِ أُمَّتِهِ، وَاسْمِهِ، وَعَلَامَاتِهِ، فَمِنْ ذَلِكَ مَعْرِفَةُ بَحِيرَا الرَّاهِبِ إِيَّاهُ فِي صِغَرِهِ، وَمَا عَرَفَ بِهِ مِنْ أَمْرِهِ زَيْدُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ نَفِيلٍ، وَوَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ، وَغَيْرُهُمَا مِمَّنْ قَرَأَ الْكِتَابَ، وَمَا وَجَدَ مِنْ ذِكْرِهِ فِي أَشْعَارِ الْمُؤَحِّدِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِثْلُ تَبِعِ وَالْأَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ وَغَيْرَهُمَا، وَمَا أَنْطَقَ اللَّهُ بِهِ الْكُهَّانَ مِنْ ذِكْرِهِ كَشِقُّ وَسَطِيحٍ وَخَنَافِرٍ وَسَوَادٍ وَغَيْرِهِمْ.

النُّوعُ الْخَامِسُ ❦ الاستِدْلَالُ بِمَا ظَهَرَ بَعْدَهُ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْعَلَامَاتِ، فَمِنْ ذَلِكَ ظُهُورُ دِينِهِ عَلَى سَائِرِ الْأَدْيَانِ تَصَدِيقًا لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]^(١)، وَفَتْحُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لِأُمَّتِهِ تَصَدِيقًا لِقَوْلِهِ صلى الله عليه وسلم: «زُويْتُ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُويَ لِي مِنْهَا»^(٢).

وَأَنْظُرْ كَيْفَ غَلَبَتْ أُمَّتُهُ عَلَى مُلْكِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ، وَاسْتَوْصَلَتْ شَأْنُهُمْ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ ضَخَامَةِ الْمُلْكِ وَكَثْرَةِ الْجُنُودِ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ أَحَدٌ إِلَّا بِأَمْرِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى.

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: إِظْهَارُهُ: جَعَلَهُ أَعْلَى الْأَدْيَانِ وَأَقْوَاهَا حَتَّى يَغِيَّبَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ. وَقِيلَ: ذَلِكَ عِنْدَ نَزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَتَّى لَا يَبْقَى دِينٌ إِلَّا دِينُ الْإِسْلَامِ. (التسهيل، ص ٣٣٣).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابِ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ.

وَمِنْهَا بَقَاءُ دِينِهِ مُنْذُ أَزِيدَ مِنْ سَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ ظَاهِرًا فِي آفَاقِ الْأَرْضِ
مَحْفُوظَ الشَّرَائِعِ لَا تَتَغَيَّرُ حُدُودُهُ وَلَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ.

وَمِنْهَا كَثْرَةُ أُمَّتِهِ وَاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدُخُولُ النَّاسِ أَفْوَاجًا فِي دِينِهِ،
فَلَمْ تَبْلُغْ أُمَّةٌ نَبِيًّا قَبْلَهُ مَبْلَغَهُمْ فِي الْكَثْرَةِ، كَمَا قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَأَنِّي
لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وَمِنْهَا مَا ظَهَرَ عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ مِنَ الْعُلُومِ الْجَمَّةِ،
وَالْتَفَقِهِ فِي الدِّينِ، وَالنُّطْقِ بِالْحِكْمَةِ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِمَّا لَمْ يَكُونُوا يَهْتَدُونَ إِلَيْهِ لَوْلَا اتِّبَاعُهُمْ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْهَا مَا يَظْهَرُ عَلَى صُلَحَاءِ أُمَّتِهِ مِنَ الْكَرَامَاتِ، وَإِجَابَةِ الدَّعَوَاتِ،
وَحَوَارِقِ الْعَادَاتِ، فَإِنَّهَا تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَرَامَتِهِ عَلَى
اللَّهِ تَعَالَى.

❖ مَسْأَلَةٌ: فِي الرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ.

أُنْكَرَتِ الْيَهُودُ نُبُوَّةَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَدًا مِنْهُمْ وَجَحَدًا
لِلْحَقِّ، فَلَمَّا قَامَ دَلِيلُ صِدْقِهِ بِمُعْجَزَاتِهِ تَعَلَّقُوا بِإِنْكَارِ النَّسَخِ فَقَالُوا: لَا
يَصِحُّ نَسْخُ شَرِيعَةِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِهَا لِأَنَّ النَّسْخَ يُلْزَمُ مِنْهُ الْبَدَاءُ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْإِعْتَصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابِ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
«بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ»؛ وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، بَابِ وَجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا
مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَهُوَ لَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَيُرَدُّ عَلَيْهِمْ بِسَبْعَةِ أَوْجُهٍ:

* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ: أَنَّ النَّسْخَ لَا يُلْزَمُ مِنْهُ الْبَدَاءُ، وَإِنَّمَا هُوَ مِثْلُ أَنْ
يَأْمُرَ السَّيِّدُ عَبْدَهُ بِعَمَلٍ مَا، فَإِذَا بَلَغَ مِنْهُ الْقَدَرُ الَّذِي يُرِيدُهُ السَّيِّدُ أَمَرَهُ
بِعَمَلٍ آخَرَ، وَلَا يُنْكَرُ أَنْ يَنْتَقِلَ اللَّهُ عِبَادَهُ مِنْ شَرِيعَةٍ إِلَى شَرِيعَةٍ، كَمَا
يَنْتَقِلُهُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ.

أَلَا تَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ نُطْفَةً، ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ يَنْقَلِبُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي
أَحْوَالٍ شَتَّى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ ثُمَّ
جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾
[المؤمنون: ١٢ - ١٤] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦].

وَكَذَلِكَ أَحْوَالُ النَّبَاتِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
فَسَلَكَهُ يَنْبُيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ [الزمر: ٢١].

وَكَذَلِكَ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَكُلُّ طَوْرِ مِنْ ذَلِكَ نَاسِخٌ لِمَا
قَبْلَهُ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِحَسَبِ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾
[الرعد: ٣٩]، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

* الْوَجْهُ الثَّانِي: أَنَّ شَرِيعَتَهُمْ نَسَخَتْ مَا قَبْلَهَا بِدَلِيلٍ مَا كَانَ فِي

زَمَنِ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نِكَاحِ الْأَخَوَاتِ لِضُرُورَةِ النَّسْلِ، ثُمَّ حَرَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ، وَأَنَّ التَّرَامَ السَّبَبَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُمْ، فَكَمَا جَازَ أَنْ تَنْسَخَ شَرِيعَتُهُمْ غَيْرَهَا يَجُوزُ أَنْ يَنْسَخَهَا غَيْرُهَا.

* الْوَجْهُ الثَّالِثُ: أَنَّ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَزِمَهُمْ تَصْدِيقُهُ، وَقَدْ كَانُوا قَبْلَ مَبْعَثِهِ يُخْبِرُونَ بِهِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَاؤُا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩] (١).

وَقَدْ اعْتَرَفَ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَسْلَمَ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، وَكَعْبِ الْأَحْبَارِ وَغَيْرِهِمَا، وَمِنْهُمْ مَنْ مَنَعَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ الْحَسَدُ وَالْقَضَاءُ عَلَيْهِ بِالشَّقَاءِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤].

وَوَبَّخَهُمُ اللَّهُ عَلَى تَرْكِ الْإِيمَانِ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ فَقَالَ: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ (٢) يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠ - ٧١] (٢).

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ أَيُّ: يَسْتَنْصِرُونَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، إِذَا قَاتَلُوهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ انْصُرْنَا بِالنَّبِيِّ الْمُبْعُوثِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَيَقُولُونَ لِأَعْدَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: قَدْ أَظَلَّ زَمَانُ نَبِيِّ يَخْرُجُ نَفْثُكُمْ مَعَهُ قَتَلَ عَادَ وَإِرَامَ. (التسهيل، ص ٧٤).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أَيُّ: تَعْلَمُونَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيٌّ ﴿تَلْسُونُ﴾ أَيُّ: تَخْلُطُونَ، وَالْحَقُّ: بُؤَةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالْبَاطِلُ: الْكُفْرُ بِهِ. (التسهيل، ص ١٤٣).

* الْوَجْهُ الرَّابِعُ: أَنَّ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ تَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِمُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ، وَالْقُرْآنُ مُصَدِّقٌ لِلتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَأَمَّا مِلَّةُ الْيَهُودِ فَتَقْتَضِي الْإِيمَانَ بِبَعْضِ النَّبِيِّينَ دُونَ بَعْضٍ لِأَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِعِيسَى وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا، وَقَدْ قَتَلُوا غَيْرَ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَكَذَّبُوهُمْ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِيمَانَ بِالْكُلِّ خَيْرٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِالْبَعْضِ وَتَكْذِيبُ الْبَعْضِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

* الْوَجْهُ الْخَامِسُ: أَنَّ أَصْحَابَ الْمِلَلِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْعَرَبِ اتَّفَقُوا عَلَى تَعْظِيمِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَدِينُ الْإِسْلَامِ هُوَ دِينُ إِبْرَاهِيمَ، فَوَجَبَ عَلَيْهِمْ اتِّبَاعُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] (١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَاهَلُ الْكِتَابَ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ٦٥] (٢) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: انْتَصَبَ ﴿مِلَّةَ﴾ بِفِعْلِ مُضَمَّرٍ تَقْدِيرُهُ: أَغْنَى بِالَّذِينَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، أَوْ: التَّزِمُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ. (التسهيل، ص ٥٤٦).

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: قَالَتِ الْيَهُودُ: كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى: كَانَ نَصْرَانِيًّا، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ رَدًّا عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ مِلَّةَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى إِنَّمَا وَقَعَتْ بَعْدَ مَوْتِ إِبْرَاهِيمَ بِمُدَّةٍ طَوِيلَةٍ. (التسهيل، ص ١٤٣).

يُودِيًا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ [آل عمران: ٦٧].

* الْوَجْهُ السَّادِسُ: أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَانُوا قَدْ غَيَّرُوا دِينَهُمْ وَبَدَّلُوهُ وَاخْتَلَفُوا فِيهِ، وَزَادُوا فِي كُتُبِ اللَّهِ وَنَقَضُوا مِنْهَا، وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَكَذَّبُوهُمْ، وَعَبَدُوا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ، وَنَسَبُوا إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيْقُ بِجَلَالِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَفْرَطُوا فِي عِصْيَانِ اللَّهِ تَعَالَى، حَتَّى عَاقَبَهُمُ اللَّهُ بِأَنْ جَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرْدَةَ وَالْخَنَازِيرَ.

فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَيُرُدَّهُمْ إِلَى الْحَقِّ فِيَمَا غَيَّرُوهُ، وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَشْفِي عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥] (٢).

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: ﴿مَا كَانَ إِزْهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ رَدًّا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نَفْيًا لِلْإِشْرَاقِ الَّذِي هُوَ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ، وَدَخَلَ فِي ذَلِكَ الْإِشْرَاقُ الَّذِي يَنْصَرِفُ عَنْ دِينِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى. (التسهيل، ص ١٤٣).

(٢) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: قِيلَ: إِنَّهَا نَزَلَتْ بِسَبَبِ الْيَهُودِ الَّذِينَ كَانُوا بِالْمَدِينَةِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَذْكُرُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَصِفُونَهُ بِصِفَتِهِ، فَلَمَّا حَلَّ بِالْمَدِينَةِ كَفَرُوا بِهِ. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ يَعْنِي مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ وَاضِحَةٌ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ لِأَنَّهُ بَيَّنَّ لَهُمْ مَا أَخْفَوْهُ مِمَّا فِي كُتُبِهِمْ وَهُوَ أُمِّيٌّ لَمْ يَقْرَأْ كِتَابَهُمْ. (التسهيل، ص ٢١٧).

وَيُرَدُّ أَيْضًا عَلَى النَّصَارَى بِهَذِهِ الْأَوْجُهِ الْمَذْكُورَةِ أَوْ بِأَكْثَرِهَا.

* الْوَجْهُ السَّابِعُ: أَنَّهُمْ لَوْ كَانَتْ لَهُمْ السَّعَادَةُ فِي الْآخِرَةِ لَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ لِيَصِلُوا إِلَى السَّعَادَةِ، وَهُمْ لَمْ يَتَمَنَّوْهُ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ وَإِنَّ [الجمعة: ٦ - ٧]، وَجَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُمْ لَوْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ مُعْجَزَةً لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَامَتْ طُولَ حَيَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ (١).

وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْيَهُودِ مَنْ يَعْتَرِفُ بِنُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنْ يَقُولُ: «إِنَّمَا بُعِثَ إِلَى الْعَرَبِ خَاصَّةً»، وَهَذَا الْقَوْلُ ظَاهِرُ التَّنَاقُضِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا اعْتَرَفَ بِنُبُوَّتِهِ لَزِمَهُ تَصَدِيقُهُ فِي كُلِّ مَا أَخْبَرَ بِهِ، وَقَدْ أَخْبَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، فَوَجَبَ تَصَدِيقُهُ فِي ذَلِكَ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ نُبُوَّتَهُ لِأَنَّهُ كَانَ عَرَبِيًّا وَلَمْ يَكُنْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ [البقرة: ٩٤] بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، أَوْ بِاللِّسَانِ خَاصَّةً، وَذَلِكَ أَمْرٌ عَلَى وَجْهِ التَّعْجِيزِ وَالتَّبَكُّيْتِ؛ لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ اشْتَقَّ إِلَيْهَا. وَوَرَدَ أَنَّهُمْ لَوْ تَمَنَّوْا الْمَوْتَ لَمَاتُوا فِي الْحَيَاتِ. وَقِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ مُعْجَزَةٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَامَتْ طُولَ حَيَاتِهِ. (التسهيل، ص ٧٥).

وَهَذَا جَهْلٌ ظَاهِرٌ، وَبُطْلَانُهُ مِنْ وَجْهِ:

- مِنْهَا أَنَّ اللَّهَ يَصْطَفِي لِرِسَالَتِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ أَيِّ الْأُمَمِ شَاءَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤] (١).

وَالنَّبَوَّةُ رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ يَخْتَصُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥].

- وَمِنْهَا أَنَّهُ قَدْ كَانَ فِي الْعَرَبِ أَنْبِيَاءٌ، كَذ: هُودٍ، وَصَالِحٍ، وَشُعَيْبٍ.

- وَمِنْهَا أَنَّ كَوْنَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَرَبِيًّا أُمِّيًّا (٢) أَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ وَأَظْهَرُ فِي مُعْجَزَاتِهِ؛ لِإِتْيَانِهِ بِالْحِكْمِ وَالْعُلُومِ مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةٍ وَلَا تَعَلُّمٍ وَلَا مَعْرِفَةٍ بِالْكِتَابِ.

(١) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ رَدُّ عَلَيْهِمْ فِيمَا طَلَبُوهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ عَلِمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلٌ لِلرِّسَالَةِ فَخَصَّهُ بِهَا، وَعَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ فَحَرَمَهُمْ إِيَّاهَا. (التسهيل، ص ٢٦٧).

(٢) قَالَ ابْنُ جُزَيٍّ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧]: أَيُّ: الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ، وَذَلِكَ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَنَّهُ أَتَى بِالْعُلُومِ الْجَمَّةِ مِنْ غَيْرِ قِرَاءَةٍ وَلَا كِتَابَةٍ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. (التسهيل، ص ٣٠٠).

الفصل الثالث

اعْلَمَنَّ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ عِبَادٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ تَعَالَى، مُكْرَمُونَ عِنْدَهُ، يَعْبُدُونَهُ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَيُطِيعُونَهُ وَلَا يَعْصُونَهُ، وَأَنْتَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ فَقَالَ: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ مِنْ حَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٩ - ٢٠].

فَمِنْهُمْ رُسُلٌ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَمِنْهُمْ مُوَكَّلُونَ بِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ، وَمِنْهُمْ حَفَظَةٌ عَلَى بَنِي آدَمَ، وَمِنْهُمْ غَيْرُ هَؤُلَاءِ، وَلَا يُحِيطُ بِعِلْمِهِمْ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى.

وَالْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ وَاجِبٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وَذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْإِيمَانَ فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلُوهُ وَمُؤْمَرُهُ» (١).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ، بَابِ بَيَانِ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ.

الفصل الرابع

اعلم أن أبا بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أئمة عادلون، نال كل واحد منهم الخلافة وكان مستحقاً لها.

ومذهب أهل السنة أنهم أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن ترتيب درجاتهم في الفضل على حسب ترتيب درجاتهم في الخلافة.

فأما أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالدليل على إمامته إجماع المسلمين على تقديمه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشار إلى استخلافه حسبما جاء في الحديث الصحيح عن جبير بن مطعم في حديث المرأة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فإن لم تجدني فأتني أبا بكر»^(١)، وفي حديث عائشة قوله صلى الله عليه وسلم في موضعه: «يأبى

(١) عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أن امرأة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله، أرايت إن جئت فلم أجِدك؟ قال أبي: كأنها تعني الموت، قال: «فإن لم تجدني فأتني أبا بكر». أخرجه البخاري في كتاب =

الله والمسلمون إلا أبا بكر»^(١).

وأما عمر رضي الله عنه فاستخلفه أبو بكر، وأجمع المسلمون على تقديمه، وقد أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خلافته في الحديث الصحيح من رواية أبي هريرة وعبد الله بن عمر، وخرج الترمذي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اقتدوا بالذين من بعدي: أبي بكر، وعمر»^(٢).

وأما عثمان رضي الله عنه فقدّمه أهل الشورى الذين جعل عمر الأمر بعده شورى بينهم، وأجمع المسلمون عليه، ثم ثار عليه سفلة الناس وقتلوه ظلماً، ولم يشارك في قتله أحد ممن له خطر.

وقد بعث علي رضي الله عنه ابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما لنصرته وحراسته، وجاء عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة فقال: «يقتل فيها هذا مظلوماً»^(٣) لعثمان.

وأما علي رضي الله عنه فلا شك أنه جمع من الخلال الشريفة والفضائل المنيفة ما يستحق الإمامة ببعضها: من قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم،

= المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذاً خليلاً؛ ومُسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

(١) أخرجه البخاري في كتاب المرضى، باب قول المريض: إني وجع؛ ومُسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكر وعمر.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وَمُصَاهَرَتِهِ لَهُ، وَمُسَابِقَتِهِ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَعِلْمِهِ، وَشَجَاعَتِهِ، وَزُهْدِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى اسْتِخْلَافِهِ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمَانَ، وَدَخَلُوا تَحْتَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، وَإِنَّمَا خَالَفَهُ مَنْ خَالَفَهُ بَعْدَ ذَلِكَ لِأُمُورٍ أُخْرَى، أَمَّا مَا هَاجَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْفِتَنِ وَمَا شَجَرَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ، وَمَنْ كَانَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلَمْ يَرِدْ ذَلِكَ فِي خَبَرٍ صَحِيحٍ، وَإِنْ صَحَّ فَيَنْبَغِي السُّكُوتُ عَنْهُ وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذِكْرِهِ، وَأَنْ يُلْتَمَسَ لِجَمِيعِهِمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ وَالْمَذَاهِبِ، وَأَنْ يُذَكَّرُوا بِأَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَيُظَنَّ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ أَحْسَنُ الظَّنِّ، وَيُعْتَقَدَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّ عَلِيًّا كَانَ عَلَى الْحَقِّ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ بَيْتِ (١) النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَمِيعَ أَصْحَابِهِ فَضْلَاءَ أَبْرَارٍ، شَهِدَ بِفَضْلِهِمُ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ وَالْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالْأَنْصَارُ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠] الْآيَةُ.

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: أَهْلُ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُمْ أَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ وَأَقَارِبُهُ كَالْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَكُلُّ مَنْ حَرَمَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ. (التسهيل، ص ٦٦٠).

القاعدة الثالثة في الكلام في الدار الآخرة وفيهما أربعة فصول

الفصل الأول في إثبات المعاد

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحْيِي الْمَوْتَى ، وَيَحْشُرُ الْخَلْقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْحِسَابِ
وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ أَمَرَ مُمَكِّنٌ غَيْرُ مُسْتَحِيلٍ ، وَقَدْ
نَطَقَتْ بِهِ كُتُبُ اللَّهِ وَأَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ ، فَوَجَبَ الْإِيمَانُ بِهِ ، وَوَرَدَ فِي
شَرِيعَتِنَا مِنْ بَيَانِ ذَلِكَ وَتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ مَا لَمْ يَرِدْ فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ أَمَرَ مُمَكِّنٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ :

* الْوَجْهُ الْأَوَّلُ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْدِرُ عَلَى إِعَادَةِ الْأَجْسَامِ بَعْدَ
فَنَائِهَا ، كَمَا قَدَّرَ عَلَى إِنْشَائِهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا
أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس : ٧٩] ^(١) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ^(٢) .

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ : هَذِهِ الْآيَةُ وَمَا بَعْدَهَا إِلَى آخِرِ السُّورَةِ بَرَاهِينُ عَلَى الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
وَرَدَّ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ ، وَ«النُّطْقَةُ» هِيَ نُطْقَةُ الْمَنِيِّ الَّتِي خَلَقَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا ، وَلَا
شَكَّ أَنَّ الْإِلَهَ الَّذِي قَدَّرَ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُ مِنْ نُطْقَةٍ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَهُ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ
الْبَعْثِ . (التسهيل ، ص ٦٦٠) .

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيٍّ : هَذَا تَوْبِيحٌ ، وَمَعْنَاهُ : أَيُّظُنُّ أَنْ يُتْرَكَ مِنْ غَيْرِ بَعْثٍ وَلَا حِسَابٍ وَلَا
جَزَاءٍ ؟ فَهُوَ كَقَوْلِهِ : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمْ خَلْقُنَا عَبَثًا ﴾ [المؤمنون : ١١٥] . (التسهيل ،
ص ٩٤٦) .

أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى^(١) [القيامة: ٣٦ - ٣٧] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ ، وَقَالَ تَعَالَى :
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]^(٢) .

* **الوجه الثاني:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى قَدَّرَ عَلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ،
وَهِيَ بِلاَ شَكٍّ أَعْظَمُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ، فَكَذَلِكَ يَقْدِرُ عَلَى إِحْيَاءِ الْخَلْقِ
بَعْدَ مَوْتِهِمْ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ
يَعَى بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى﴾ [الأحقاف: ٣٣]^(٣) .

* **الوجه الثالث:** أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحْيِي الْأَرْضَ بِالْمَطَرِ بَعْدَ مَوْتِهَا ،
وَيُنْبِتُ فِيهَا الزَّرْعَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا ، فَكَذَلِكَ يُحْيِي الْخَلْقَ بَعْدَ
مَوْتِهِمْ ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: النُّطْفَةُ: هِيَ النُّقْطَةُ ، وَ«يُمْنَى» مِنْ قَوْلِكَ: أَمْنَى الرَّجُلُ ، وَمَعْنَى الْآيَةِ
الاسْتِدْلَالُ بِخَلْقَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى بَعْثِهِ ، كَقَوْلِهِ: «قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ» [يس:
٧٩] . (التسهيل ، ص ٩٤٧) .

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ» أَيُّ: الْإِعَادَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَهْوَبُ عَلَيْهِ مِنْ الْخَلْقَةِ
الْأُولَى ، وَهَذَا تَقْرِيبٌ لَهُمْ السَّامِعِ وَتَحْقِيقٌ لِلْبَعْثِ ؛ فَإِنَّ مَنْ صَنَعَ صَنْعَةً أَوَّلَ مَرَّةٍ
كَانَتْ أَسْهَلَ عَلَيْهِ ثَانِي مَرَّةً ، وَلَكِنَّ الْأُمُورَ كُلَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى
اللَّهِ يَسِيرٌ . (التسهيل ، ص ٦٣٩) .

(٣) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: الْآيَةُ احْتِجَاجٌ عَلَى بَعْثِ الْأَجْسَادِ بِخَلْقَةِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . «وَلَمْ
يَعَى بِخَلْقِهِنَّ» يُقَالُ: عَيَّيتُ بِالْأَمْرِ: إِذَا لَمْ تَعْرِفْهُ ، فَالْمَعْنَى أَنَّهُ تَعَالَى عَالِمٌ كَيْفَ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَأَحْكَمَ خَلْقَهَا ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِحْيَاءِ الْمَوْتَى . (التسهيل ،
ص ٧٩٧) .

الْمَاءِ اهْتَزَتْ وَرَبَّتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ [الحج: ٥] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى :
﴿وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١] .

وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى تَنْبِيْهَا عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَى الْحَشْرِ: ﴿وَمَا أَمُرُ السَّاعَةِ
إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧] ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا
بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] .

وَأَعْلَمَ أَنَّ فِي الْبَعْثِ وَجُوهًا مِنَ الْحِكْمَةِ:

مِنْهَا أَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فَيُبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِيُقِيمَ الْحَقَّ وَيَقْضِيَ
بَيْنَهُمْ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ
الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩] .

وَمِنْهَا أَنَّ النَّاسَ مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ ، وَمُطِيعٌ وَعَاصٍ ، فَيُبْعَثُهُمُ اللَّهُ
تَعَالَى لِيُجَازِيَ كُلَّ أَحَدٍ بِعَمَلِهِ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا
كَسَبَتْ﴾ [إبراهيم: ٥١] .

وَلَوْلَا الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ الْآخِرِيُّ لَمْ يَكُنْ فَرْقٌ بَيْنَ الْأَخْيَارِ
وَالْأَشْرَارِ ، فَإِنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا سَوَاءٌ ، وَرُبَّمَا يَكُونُ الْفَاجِرُ وَالْكَافِرُ فِي الدُّنْيَا
أَحْسَنَ حَالًا ، فَلَا بُدَّ مِنْ دَارٍ يَظْهَرُ فِيهَا الْفَرْقُ فِي الْجَزَاءِ ، وَهَذَا مَعْنَى
قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾

[المؤمنون: ١١٥] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] .

*** ** *

الفصل الثاني فيما يكون قبل يوم القيامة

اعْلَمْ أَنَّهُ جَاءَ فِي الشَّرِيعَةِ ذِكْرُ أُمُورٍ تَكُونُ بَيْنَ الْمَوْتِ وَبَيْنَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَيَجِبُ الْإِيْمَانُ بِهَا: مِنْهَا سُؤَالُ الْمَلَائِكِينَ ^(١) ، وَعَذَابُ الْقَبْرِ .

وَجَاءَ أَيْضًا ذِكْرُ أُمُورٍ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْقِيَامَةِ ، وَهِيَ أَشْرَاطُهَا ، فَمِنْهَا خُرُوجُ الدَّجَالِ ، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ ، وَطُلُوعُ

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: وَإِلَيْهِ الْإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ: ﴿يُسْأَلُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] . (القوانين الفقهية ، ص ٣٥) .

وَقَدْ وَرَدَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ ، مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نَعَالِهِمْ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيَقْعِدَانِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، فَيَقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ ، قَدْ أَبَدَلَكُ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوْ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيَقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ ، إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» . أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجَنَائِزِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ ؛ وَمُسْلِمٌ فِي الْجَنَّةِ وَصِفَةُ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا ، بَابُ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ .

الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ.

فَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، أَمَّا الْكِتَابُ فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَحَاقَ بِئَالٍ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦] (١).

وَوَجْهُ الْاجْتِنَاجِ بِهَا أَنَّهَا صَرِيحَةٌ فِي الْعَذَابِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِقَوْلِهِ بَعْدَهَا: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وَإِنَّمَا يَكُونُ الْعَذَابُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ فِي الْقُبُورِ.

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ (٢)، وَقَدْ رَوَى أَحَادِيثَ عَذَابِ الْقَبْرِ وَسُؤَالِ الْمَلَائِكِينَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، وَعَائِشَةُ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: عَرَضَهُمْ عَلَيْهَا مِنْ حِينَ مَوْتِهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَذَلِكَ مُدَّةُ الْبَرْزَخِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وَاسْتَدَلَّ أَهْلُ السُّنَّةِ بِذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ مَا وَرَدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. (التسهيل، ص ٧٤٨).

(٢) مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابِ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ غُدُوًّا وَعَشِيًّا، إِمَّا إِلَى النَّارِ، وَإِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرِّقَاقِ، بَابِ سَكْرَاتِ الْمَوْتِ؛ وَمُسْلِمٌ فِي الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابِ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ.

هُرَيْرَةُ، وَخَرَجَهَا أَيْمَةُ الْمُحَدِّثِينَ كُمَيْلٌ وَالْبُخَارِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبِي دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، وَقَدْ اتَّفَقَ سَلَفُ الْأُمَّةِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَجُمْهُورِ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَمَّا شُرُوطُ السَّاعَةِ فَوَرَدَتْ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَرَوَاهَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَمِنْهَا مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَذَلِكَ حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا وَيُعْلَقُ بَابُ التَّوْبَةِ حِينَئِذٍ، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ إِذَا صَحَّتْ شُرُوطُهَا.

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: خُرُوجُ الدَّابَّةِ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، وَرَوَى أَنَّهَا تَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَقِيلَ: مِنَ الصَّفَا، وَأَنَّ طُولَهَا سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَقِيلَ: هِيَ الْجَسَاسَةُ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الْحَدِيثِ، ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قِيلَ: إِنَّهَا تُكَلِّمُهُمْ بِطُلَانِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَّا دِينَ الْإِسْلَامِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا تَقُولُ: أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. (التسهيل، ص ٦١٢).

الفصل الثالث في يوم القيامة وأحواله

اعلم أنه ورد في الشريعة ذكر أمور تكون يوم القيامة، فيجب الإيمان بها، فمنها الصراط، والميزان، والحساب، والقصاص، وقراءة الكتب بالأعمال، وحوض النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعته، وشهادة الأعضاء.

فأما الصراط فيدل عليه من الكتاب^(١) قوله تعالى: ﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ الْجَدِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣]، ومن السنة أحاديث صحيحة^(٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم رواها عنه جماعة منهم: أبو هريرة، وحذيفة، وعائشة، وأبو سعيد الخدري، والمغيرة بن شعبة، وخرجها مسلم، والترمذي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وغيرهم من الأئمة، واتفق عليه السلف وأهل السنة من الخلف.

(١) وأيضا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكُرُوا إِلَّا وَارِدَهَا﴾ [مريم: ٧١]. قال ابن جزي: المراد بذلك جواز الصراط. (التسهيل، ص ٤٩٦)

(٢) منها قوله صلى الله عليه وسلم: «يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرَفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ وَكَالْريِّحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَاجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ، فَتَاجِ مُسْلِمٍ، وَمَخْدُوشِ مُرْسَلٍ، وَمَخْدُوشِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». أخرجه مسلم في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية.

وأما الميزان فيدل عليه من الكتاب آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]، ومن السنة أخبار^(٢) رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة، منهم عائشة، وأنس بن مالك، وخرجها الأئمة المحدثون.

وأما الحساب فيدل عليه من الكتاب آيات كثيرة، منها وصف يوم القيامة بيوم الحساب، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَحْسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]، وقوله تعالى: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، ومن السنة أخبار^(٣) رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم جماعة، منهم عائشة، وعبد الله بن مسعود، وأبو برة الأسلمي، وعبد الله بن عمر، وغيرهم، وخرجها الأئمة، واتفق المسلمون على ذلك.

(١) قال ابن جزي: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ أي: العدل، وإنما أفرِد القسط وهو صفة للجمع لأنه مَصْدَرٌ وُصِفَ بِهِ، كَعَدْلٌ وَرَضَى، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ: ذَوَاتِ الْقِسْطِ. ومذهب أهل السنة أن الميزان يوم القيامة حقيقة، له كِفَتَانِ وَلِسَانٌ وَعَمُودٌ، تُوزَنُ فِيهِ الْأَعْمَالُ، وَالْخِفَّةُ وَالثَقْلُ مُتَعَلِّقَةٌ بِأَجْسَامٍ، إِمَّا صُحُفُ الْأَعْمَالِ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ. وَقَالَتِ الْمُعْتَزَلَةُ: إِنَّ الْمِيزَانَ عِبَارَةٌ عَنِ الْعَدْلِ فِي الْجَزَاءِ. (التسهيل، ص ٥٢٠).

(٢) منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ». أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح؛ ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٣) منها قول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَّبَ». أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إثبات الحساب.

وَأَمَّا الْقِصَاصُ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩]، وَمِنَ السُّنَّةِ أَخْبَارٌ رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ، مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَخَرَجَهَا الْأئِمَّةُ، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا قِرَاءَةُ الْكِتَابِ فَيَدُلُّ عَلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ بِمِيزَانِهِ﴾ [الحاقة: ١٩] الْآيَةِ، وَمِنَ السُّنَّةِ أَخْبَارٌ رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ: مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَخَرَجَهَا الْأئِمَّةُ، وَاتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْحَوْضُ فَهُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَى اللَّهُ نَبِيَّهٗ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، وَجَاءَ تَفْسِيرُهُ بِذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَيْضًا أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ^(١) رَوَاهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: مِنْهُمْ ثَوْبَانُ، وَأَبُو ذَرٍّ، وَأَنَسُ، وَعَائِشَةُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَأَبُو

(١) مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، زَوَايَاهُ سَوَاءٌ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، كِيزَانُهُ كُنُجُومُ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرَّقَاقِ، بَابٍ فِي الْحَوْضِ؛ وَمُسْلِمٌ فِي الْفَضَائِلِ، بَابٍ إِثْبَاتِ حَوْضِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هُرَيْرَةَ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَأَبُو بَرَزَةَ الْأَسْلَمِيُّ، وَغَيْرُهُمْ، وَخَرَجَ أَحَادِيثُهُ الْأئِمَّةُ.

وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فَيَدُلُّ عَلَيْهَا مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وَمِنَ السُّنَّةِ أَخْبَارٌ^(١) رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ: مِنْهُمْ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو أُمَامَةَ، وَأَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَعِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، وَغَيْرُهُمْ، وَخَرَجَهَا الْأئِمَّةُ وَاتَّفَقَ عَلَيْهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ.

وَأَمَّا شَهَادَةُ الْأَعْضَاءِ فَيَدُلُّ عَلَيْهَا مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]، وَقَوْلُهُ: ﴿تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠].

وَمِنَ السُّنَّةِ أَخْبَارٌ رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَأَبُو (١) مِنْهَا قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتُعْجَلُ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَتُهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الدَّعَوَاتِ، بَابٍ لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ؛ وَمُسْلِمٌ فِي الْإِيمَانِ، بَابِ اخْتِبَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُخْرِجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَيُسَمَّوْنَ: الْجَهَنَّمِيِّينَ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الرَّقَاقِ، بَابِ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

أُمَامَةُ الْبَاهِلِيِّ وَغَيْرُهُمَا، وَخَرَجَهَا الْأَئِمَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ الَّتِي تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقَبْلَهُ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَصْفُهَا وَتَفْصِيلُ الْأَحْوَالِ فِيهَا، وَتَرَكْنَا نَحْنُ ذَلِكَ اخْتِصَارًا لِأَنَّ قَصْدَنَا إِبْثَاتُ وَقُوعِهَا لَا غَيْرُ.

الفصل الرابع في الجنة والنار

اعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْجَنَّةَ دَارَ نَعِيمٍ وَثَوَابٍ، وَجَعَلَ النَّارَ دَارَ عَذَابٍ وَعِقَابٍ، فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَيَدْخُلُهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَيَتَعَمَّوْنَ فِيهَا بِأَصْنَافٍ مِنَ النَّعِيمِ: مِنَ الْمَأْكَلِ، وَالْمَشَارِبِ، وَالنِّسَاءِ، وَالْخَدَمِ، وَالْمَلَابِسِ، وَالْقُصُورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ حَسَبَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ:

مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرحمن: ٤٦] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] إِلَى آخِرِ وَصْفِ الْجَنَّةِ فِيهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَوَرَدَ أَيْضًا فِي وَصْفِ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ، رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [النَّازِعَاتِ: ٢٢ - ٢٣] ^(١)، وَوَرَدَتْ فِي

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: «إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» هَذَا مِنَ النَّظَرِ بِالْعَيْنِ، وَهُوَ نَصٌّ فِي نَظَرِ الْمُؤْمِنِينَ =

ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ صَرِيحَةٌ فِي مَعْنَاهَا، رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ: مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَجَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ، وَصُهَيْبٌ، وَابْنُ عُمَرَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَغَيْرُهُمْ، وَخَرَجَهَا الْأَئِمَّةُ.

وَأَعْلَمَ أَنَّ نَعِيمَ الْجَنَّةِ دَائِمٌ لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦]، وَأَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ، جَعَلَنَا اللَّهُ مِنْ أَهْلِهَا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَأَمَّا النَّارُ فَيَدْخُلُهَا الْكُفَّارُ وَالْمُذْنِبُونَ، وَيُعَذَّبُونَ فِيهَا بِأَصْنَافٍ مِنَ الْعَذَابِ حَسَبَ مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبأ: ٢١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿جَرَءًا وَفَاقًا﴾ [النبأ: ٢٦]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩] الْآيَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَوَرَدَ أَيْضًا فِي وَصْفِ ذَلِكَ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ.

فَأَمَّا الْكُفَّارُ فَلَا بُدَّ أَنْ يَدْخُلُوهَا وَيُخْلَدُونَ فِيهَا خُلُودًا دَائِمًا لَا انْقِطَاعَ لَهُ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، وَقَوْلُهُ

= إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ. (التسهيل، ص ٩٤٤).

تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى ذَلِكَ.

وَأَمَّا الْمُذْنِبُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَمِنْهُمْ مَنْ يَغْفُو اللَّهُ عَنْهُ فَلَا يَدْخُلُهَا النَّارَ، وَيَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]^(١)، وَكُلُّ مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ تَعَالَى بِالرَّحْمَةِ وَالْعَفْوِ وَالْمَغْفِرَةِ، وَقَدْ جَاءَ فِي ذَلِكَ أَخْبَارٌ صَحِيحَةٌ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَاخِذُهُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِ فَيَدْخُلُهَا النَّارَ^(٢) ثُمَّ يُخْرِجُهُ مِنْهَا

(١) قَالَ ابْنُ جُرَيْ: هَذِهِ الْآيَةُ هِيَ الْحَاكِمَةُ فِي مَسْأَلَةِ الْوَعِيدِ، وَهِيَ الْمُبَيِّنَةُ لِمَا تَعَارَضَ فِيهَا مِنَ الْآيَاتِ، وَهِيَ الْحُجَّةُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ، وَالْقَاطِعَةُ بِالْخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزِلَةِ وَالْمُرْجِيَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ الْعَصَاةَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَحُجَّتُهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ، فَإِنَّهَا نَصٌّ فِي هَذَا الْمَعْنَى. (التسهيل، ص ١٨٤)

(٢) قَالَ ابْنُ جُرَيْ: تَحْقِيقٌ: إِنَّمَا يَدْخُلُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ النَّارَ مَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ سَبْعَةٌ أَوْ صَافٍ: أَحَدُهَا: أَنْ تَكُونَ لَهُ ذُنُوبٌ، تَحَرُّزًا مِنَ الْمُتَّقِينَ. الثَّانِي: أَنْ يَمُوتَ غَيْرَ تَائِبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ، فَإِنَّ التَّائِبَ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ. الثَّالِثُ: أَنْ تَكُونَ ذُنُوبُهُ كَبَائِرَ؛ فَإِنَّ الصَّغَائِرَ تُغْفَرُ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ. الرَّابِعُ: أَنْ لَا تُثْقَلَ حَسَنَاتُهُ، فَلَوْ رَجَحَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ وَلَوْ بَوَازَنَ ذَرَّةً نَجَا مِنَ النَّارِ. الْخَامِسُ: أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّنْ لَهُ النِّجَاطُ بِعَمَلٍ سَابِقٍ، كَأَهْلِ بَدْرٍ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ. السَّادِسُ: أَنْ لَا يَشْفَعَ فِيهِ أَحَدٌ. السَّابِعُ: أَنْ لَا يَغْفَرَ لَهُ اللَّهُ.

(القوانين الفقهية، ص ٣٦ - ٣٧).

بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَشَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُخَلَّدُ مُؤْمِنٌ فِي النَّارِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْكِتَابِ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]، فَإِنَّهُ لَوْ خُلِدَ
فِي النَّارِ لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ثَوَابٌ عَلَى إِيمَانِهِ وَلَا عَلَى مَا عَمِلَ مِنَ
الْحَسَنَاتِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمِنَ السُّنَّةِ أَخْبَارٌ كَثِيرَةٌ صَحِيحَةٌ رَوَاهَا عَنِ النَّبِيِّ جَمَاعَةٌ مِنَ
الصَّحَابَةِ: مِنْهُمْ أَبُو هُرَيْرَةَ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ،
وَأَنَسٌ، وَحُذَيْفَةُ، وَعِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ، وَخَرَجَهَا الْأَيْمَةُ، وَهَذَا مَذْهَبُ
أَهْلِ السُّنَّةِ، وَتَأَوَّلُوا مَا يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ.

خَاتَمَةُ الْكِتَابِ

اعْلَمْ أَنَّ الْإِيمَانَ أَصْلُ جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ، وَأَنَّهُ شَرْطٌ فِي قَبُولِ
الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، وَأَنَّ تَصْحِيحَ الْإِعْتِقَادِ آكَدُ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى
الْعِبَادِ، فَعَلَيْكَ بِالْجِدِّ فِي ذَلِكَ وَالْاجْتِهَادِ.

وَهَا أَنَا أُوصِيكَ بِمَا يُقَوِّي يَقِينَكَ، وَيَثْبُتُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - دِينَكَ،
وَأَحْذَرُكَ مِمَّا يُزَيِّغُ قَلْبَكَ وَيُفْسِدُ نَظْرَكَ وَلُبَّكَ.

فَأَمَّا الَّذِي أُوصِيكَ بِهِ فَأَرْبَعَةُ أُمُورٍ:

* الْأَوَّلُ: تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَتَدَبُّرُ آيَاتِهِ، وَتَفْهَمُ مَعَانِيهِ، فَهُوَ
الَّذِي يُنَوِّرُ الْقُلُوبَ وَيَشْرَحُ الصُّدُورَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، وَسَمَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى هُدًى وَرَحْمَةً وَنُورًا
وَشِفَاءً وَبَيِّنَاتٍ وَبُشْرَى وَبَصَائِرَ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا
بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ
قَصَمَهُ اللَّهُ، وَمَنْ ابْتَغَى الْهُدَى فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَهُوَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ،
وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَهُوَ الَّذِي لَا تَزِيغُ بِهِ
الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا يَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَلَى
كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ، هُوَ الَّذِي لَمْ تَنْتَهُ الْجَنُّ إِذَا سَمِعَتْهُ حَتَّى
قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَتَأْمَنَّا بِهِ» [الجن: ١ - ٢]،

وَمَنْ قَالَ بِهِ صِدْقٌ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجْرٌ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدْلٌ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١).

* الثاني: قراءة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومطالعة سيره، وتفهم كلامه، واتباع سنته، فإنك ستطلع من حسن أفعاله وحكم أقواله على العجب العجيب الهادي لأولي الألباب.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالنَّجْمُ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ وَمَا يَطُوقُ عَنِ الْهَوَىٰ [النجم: ١ - ٣]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّتِي»^(٢).

* الثالث: معرفة أخبار السلف من الصحابة والتابعين، والافتدائ بهم، وترك محدثات الأمور^(٣)، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَصْحَابِي

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في فضل القرآن.

(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر.

(٣) قال ابن الأثير: البدعة بدعتان: بدعة هدى، وبدعة ضلالة، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعاً تحت عموم ما ندب الله إليه وحض عليه الله أو رسوله فهو في حيز المدح. فقله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ» إنما أراد ما خالف أصول الشريعة ولم يوافق السنة. (راجع النهاية، ج ١/ص ١٠٦ - ١٠٧)

كَالنُّجُومِ، بِأَيِّهِمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ»^(١)، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ سُئِلَ عَنِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ: «مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(٢)، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٣).

* الرابع: تقوى الله تعالى، والاستقامة على الطاعات، وتجنب المعاصي والسيئات، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي نُورِ الْبَصِيرَةِ، كَمَا أَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ يُغْطِي عَلَى الْقَلْبِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وَقَالَ فِي ضِدِّ ذَلِكَ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] الآية.

وَأَمَّا الَّذِي أَحْذَرُكَ مِنْهُ فَأَمْرَانِ:

* الأول: الاشتغال بالعلوم القديمة غير الشرعية: كالفلسفة، والتنجيم؛ فَإِنَّ ذَلِكَ - فِي الْعَالِبِ - مِمَّا يَضْعُفُ بِهِ الْإِيمَانُ، وَيُظْلِمُ بِهِ

(١) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٨٩٥) ولم يصححه الحفاظ.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الإيمان، ما جاء في افتراق هذه الأمة.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع.

الْقَلْبُ، وَيُورِثُ صَاحِبَهُ الْبُغْضَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، مَعَ أَنَّهَا عُلُومٌ لَا فَائِدَةَ فِيهَا، وَأَنَّهَا لَمْ يَأْتِ بِهَا الْمُرْسَلُونَ وَالْأَنْبِيَاءُ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ فِيهَا خَيْرًا لَبَعَثَ بِهَا رَسُولَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَقَدْ أَمَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ تُطْرَحَ كُتُبُهَا فِي الْبَحْرِ وَقَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهَا خَيْرٌ فَالَّذِي هَدَانَا إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنْهَا».

* الثَّانِي: النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ الْمُشْكَلَاتِ، وَالِاشْتِعَالُ بِالشُّبْهَةِ وَالتَّشْكِيكَاتِ، وَذَكَرُ مَذَاهِبِ الْمُخَالِفِينَ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُبْتَدِعِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُدْخِلُ الشَّكَّ فِي الْقُلُوبِ، وَيُزَلِّزُ دَعَائِمَ الْيَقِينِ، وَلِأَجْلِ هَذَا أَمَرَ الشَّارِعُ بِالْإِمْسَاكِ عَنْ أُمُورٍ وَنَهَى عَنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَالتَّفْتِيشِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ»^(١).

وَقَدْ أَدَّبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ سَأَلَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَزَلِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالْأَئِمَّةُ يُنْكِرُونَ الْكَلَامَ فِي ذَلِكَ، وَأَخْرَجَ مَالِكُ الرَّجُلَ الَّذِي سَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةِ الْاِسْتِوَاءِ وَقَالَ: «السُّؤَالُ عَنْ هَذَا بِدْعَةٌ، وَأَرَاكَ رَجُلًا سُوءًا»، وَوَرَدَ عَنِ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ مِنَ التَّشْدِيدِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ يُحْتَاجُ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُخَالِفِينَ وَإِبْطَالِ أَقْوَالِهِمْ.

فَالْجَوَابُ أَنَّ الْمُخَالِفِينَ عَلَى قِسْمَيْنِ: كُفَّارٌ، وَمُبْتَدِعُونَ.

(١) متفق عليه.

- فَأَمَّا الْكُفَّارُ فَقَدْ أَبْطَلَ الْقُرْآنُ أَقْوَالَهُمْ، وَبَيَّنَ افْتِرَاقَهُمْ وَضَلَالَهُمْ، وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ فَلَا يُحْتَاجُ مَعَهُ فِي هَذَا إِلَى غَيْرِهِ.

- وَأَمَّا الْمُبْتَدِعُونَ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يَحْكِي أَقْوَالَهُمْ وَلَا يَذْكُرُ حُجَّتَهُمْ إِلَّا إِذَا ضُمَّتْ لِذَلِكَ ضَرُورَةٌ، فَحِينَئِذٍ يَشْتَغِلُ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ، كَمَا رَدَّ عَلِيُّ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى الْخَوَارِجِ لَمَّا انْتَشَرَ أَمْرُهُمْ.

وَهَذَا هُوَ الَّذِي دَعَا أَئِمَّةَ الْمُتَكَلِّمِينَ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ وَأَبِي بَكْرٍ بْنِ الطَّيِّبِ وَغَيْرِهِمَا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - إِلَى الْكَلَامِ فِي ذَلِكَ لِظُهُورِ طَوَائِفِ الْمُبْتَدِعِينَ فِي زَمَانِهِمْ.

فَأَمَّا فِي زَمَانِنَا فَقَدْ كَفَانَا اللَّهُ مُؤْتَتَهُمْ لِعَدَمِ وُجُودِهِمْ، لَا سِيَّمَا فِي بِلَادِنَا بِالْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ، فَلَا يَنْبَغِي فِي زَمَانِنَا أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَى مَذَاهِبِهِمْ وَلَا تُخْطَرُ عَلَى قَلْبٍ وَلَا سَمْعٍ لِأَنَّهَا ضَرَرٌ بِلَا نَفْعٍ؛ لِأَنَّ الْفَائِدَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا مِنْ رَدِّعِهِمْ لَا مَعْنَى لَهَا مَعَ فَقْدِهِمْ، وَالْمَضَرَّةُ الَّتِي فِيهَا مِنْ ارْتِكَابِ النَّهْيِ وَمُخَالَفَةِ السَّلَفِ وَظُلْمَةِ الْقَلْبِ ثَابِتَةٌ حَاصِلَةٌ لِمَنْ اشْتَغَلَ بِهَا.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ يَخْطُرُ عَلَى الْقَلْبِ خَطَرَاتٌ، وَيُوسِسُ الشَّيْطَانُ فِي صَدْرِ الْإِنْسَانِ، وَيُلْقِي عَلَيْهِ إِشْكَالَاتٍ، فَمَا يَفْعَلُ مَنْ جَرَى لَهُ ذَلِكَ؟

فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا دَاءٌ قَدْ تَبَيَّنَ دَوَاؤُهُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَذَلِكَ

بأربعة أشياء:

* الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، والإلغاء عن ذلك الخاطر؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَزْنَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ وَجَدَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ» وفي رواية: «فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَه».

* الثاني: ذكر الله؛ قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

* الثالث: التفكير في الأدلة والتذكُّر للبراهين؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

* الرابع: سؤال عالم سني؛ قال الله تعالى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

انتهى ما قصدناه بفضل الله، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ونحن نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يكتب لنا على هذا الكتاب أجر من دعا إلى الحق وقال بالصدق، وأن يزيدنا إيماناً ويقيناً، ويجعل في صدورنا مع معرفته نوراً مبيناً.

ونختم بالصلاة على من دلنا على الله وأرشدنا إلى عبادة الله وهو سيدنا ومولانا محمد جراه الله عنا أفضل ما جزى نبياً عن أمته، وتوفانا على ملته، مستمسكين بسنته، بفضلِهِ وَرَحْمَتِهِ.

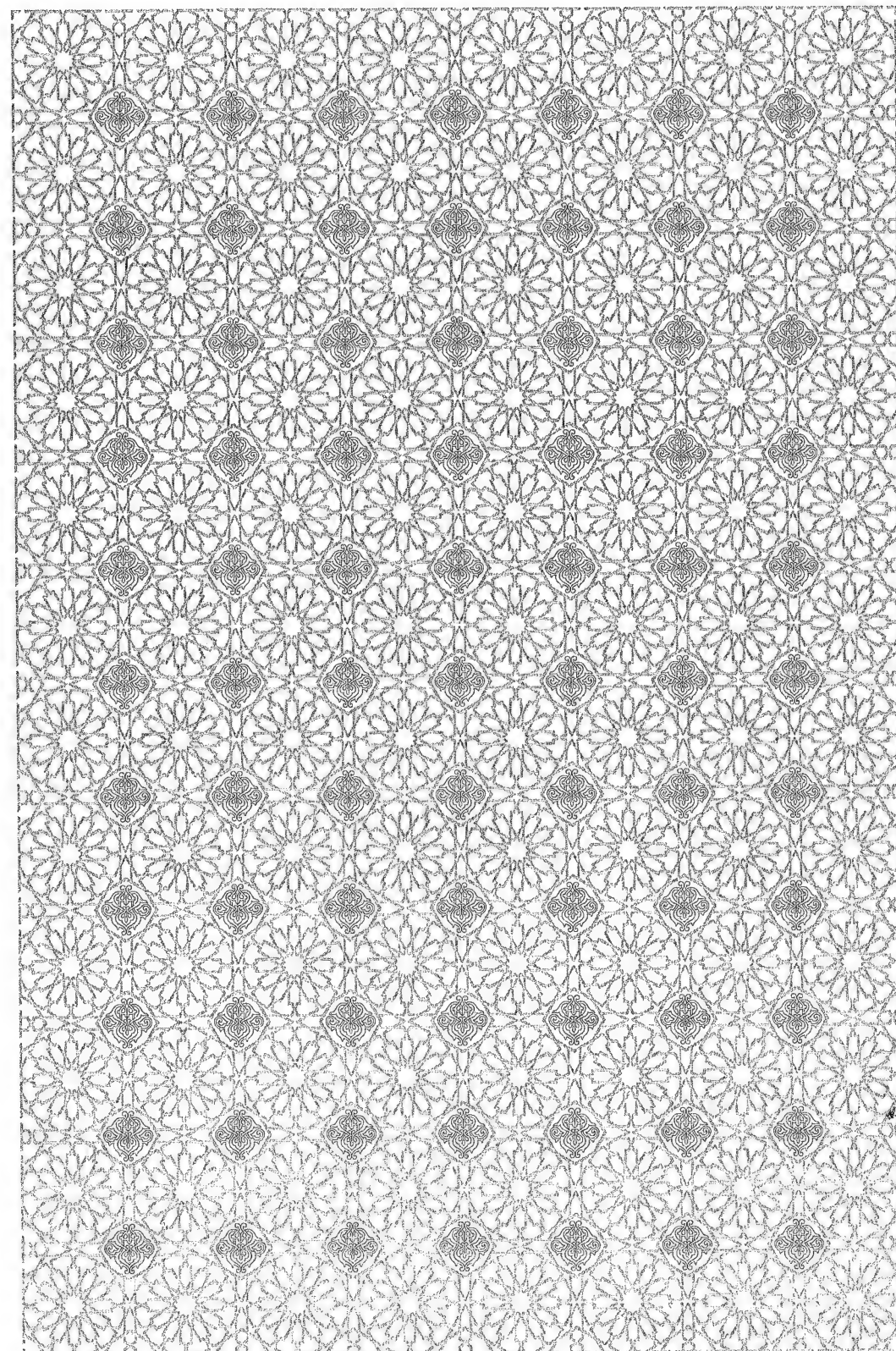
كمل الكتاب بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد نبيه وعبداه في اليوم الثامن والعشرين من شهر الله ذي القعدة الحرام عام إحدى وثمانين وتسعمائة على يد المذنب الراجي رحمة ربه محمد بن الحسن بن الحسن النظيفي في بلاد مراکش وكتبه للفقير الأجل سيدي أحمد بن أحمد الثقلي العادل ولمن شاء بعده،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً آمين آمين

والحمد لله رب العالمين

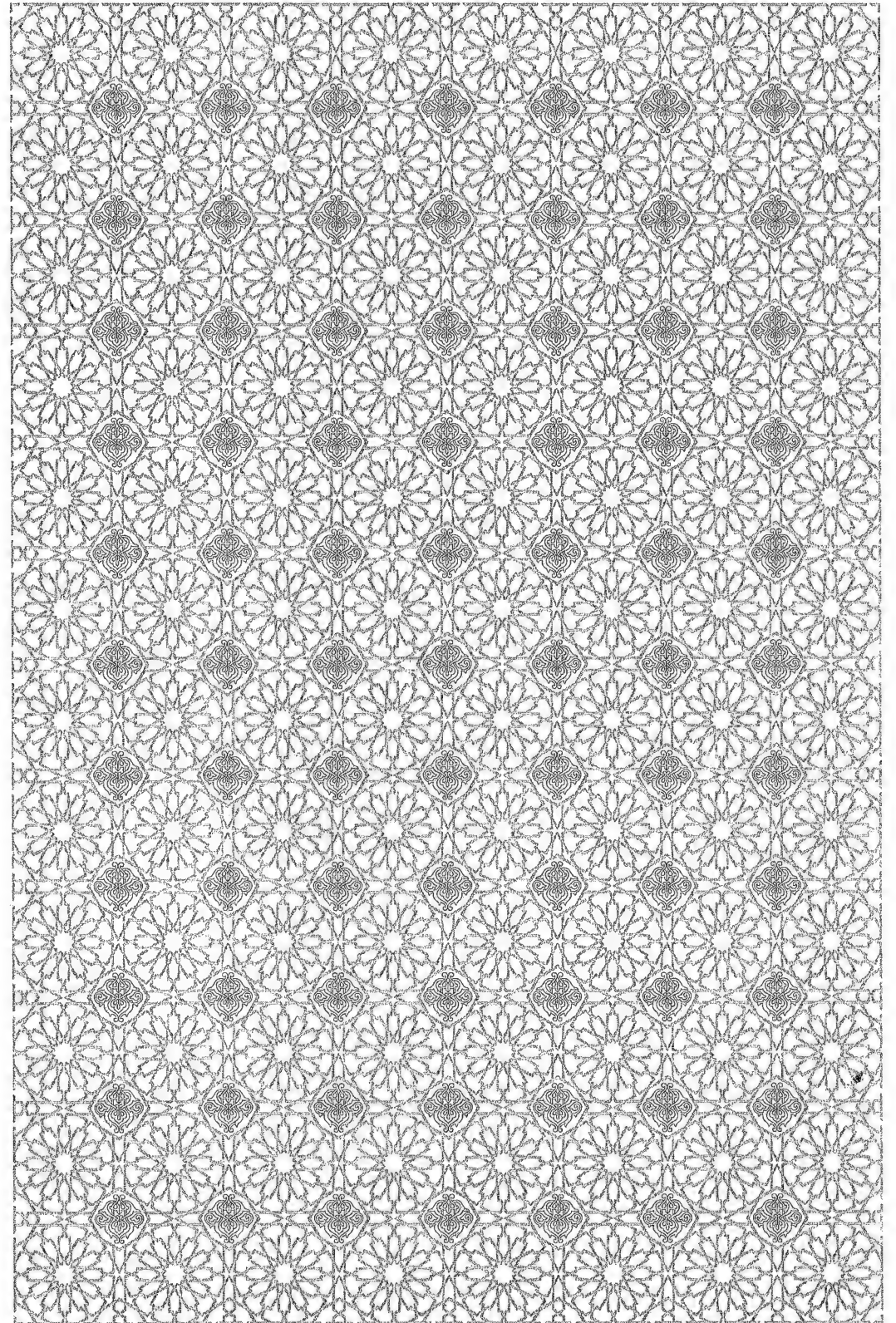
الفهارس العامة

- * فهرس الآيات القرآنية
- * فهرس الأحاديث النبوية
- * فهرس الموضوعات



فهرس الآيات القرآنية

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]	٢٥
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ	
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]	٦٧
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]	١٠٣
﴿وَكَاذِبِينَ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]	٧٨
﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]	٨٢
﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ [البقرة: ١١٦]	٤٤
﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩]	٧٣
﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ	
وَمَا أُوْقَىٰ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوْقَىٰ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ	
مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]	٧٩
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]	٢٦
﴿لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]	٢٦
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ	
لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]	٦٤
﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]	٥٨
﴿أَلَمْ يَأْتِ الْقِيَوْمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]	٥٥
﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]	٥٣



السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]	٥٤
﴿لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]	٥٢
﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]	٦٠
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]	١٠٨
﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقُوبَ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]	٤٧
﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]	٤٥
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ إِلَّا أَنْجِيلًا إِلَّا مِنْ بَعْدِهَا﴾ [آل عمران: ٦٥]	٧٩
﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]	٨٠
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُشْهَدُونَ﴾ [آل عمران: ٧٠ - ٧١]	٧٨
﴿وَالْحَقُّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١ - ٧٢]	٧٨
﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]	٧٤
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]	٦٦٠
﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ [النساء: ٤٦]	٦٨
﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]	١٠٤
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]	١٠٣
﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧]	١٠٢
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]	٦٤
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]	٨٣

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا قُلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]	٤٧
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]	٥٤
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]	٦٥
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]	٤٤
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]	٤٤
﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]	٨٠
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]	٤٥
﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِسَرَّيْلٍ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢]	٤٧
﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]	٤٥
﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]	٤٥
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]	٥٠
﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [الأنعام: ١١]	٣٥
﴿وَمَا أَرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]	٦٤
﴿قُلْ مَنْ يُنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأنعام: ٦٣]	٣٨
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]	٢٩٠
﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩]	٢٩
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنْزَلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤]	٧٨
﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]	٨٢

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿يَمْعَشِرَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُزِدُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]	٦٥
﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]	٩٥
﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَمَنِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]	٤٠
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨]	٩٧
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الَّذِي يَحْدُوهُمْ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]	٧٤
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]	٦٦
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]	٣٧
﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]	٧٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]	٤٠
﴿وَأِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]	١١٢
﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]	١١٢
﴿إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٩]	١٠٩
﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]	٥٦
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]	٧٥
﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]	٦٨
﴿وَاللَّسِيخُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنِ رِضَى اللَّهِ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]	٨٦
﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨]	٤٦

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [يونس: ١٠٣]	٣٤
﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩]	٦٨٠
﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]	٥٤
﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧]	٥٢
﴿يُسْقَى بِمَاءٍ وَجِيدٍ وَتُفَضَّلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ [الرعد: ٤]	٥١
﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]	١١٢
﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْثِثُ﴾ [الرعد: ٣٩]	٧٧
﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]	٣٧
﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ [إبراهيم: ٥١]	٩١
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]	٦٩
﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرِجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]	١٠٢
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّ لَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣]	٩٧
﴿خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٢ - ٣]	٦
﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]	٥٩
﴿لِبَيْنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]	٩١
﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]	١١٢
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ [النحل: ٦٢]	٥٢
﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]	٩١
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]	١٠٧
﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَبْعَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣]	٩٨
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]	٦٤

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا تَنفَعُوا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]	٤١
﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]	٩٩
﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]	٦٨
﴿وَلَا تُطِيع مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨]	١٠٩
﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]	١٠٢
﴿مَا أَشْهَدُكُمْ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الكهف: ٥١]	٣٠
﴿وَقَدْ خَلَقْتَنكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٩]	٣٠
﴿رَبَّنَا أَبْغِمْ لَنَا سَبِيلًا لَا يَصْغُرُ وَلَا يَكْبُرُ وَلَا يَغْنَىٰ عَنْكَ شَيْئًا﴾ [مريم: ٤٢]	٤٨
﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]	١٠٩
﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢ - ٩٣]	٤٦
﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]	٥٩
﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ﴾ [طه: ٥٢]	٥٩
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [طه: ١٩ - ٢٠]	٨٣
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]	٤١
﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يُفَعَّلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]	٧٧، ٩٥
﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]	٨٣
﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]	٨٣
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]	٩٧
﴿حَقِّقْ إِذَا فَتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ [الأنبياء: ٩٦]	٩٥

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]	٩١، ٣٠
﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢ - ٤٤]	٣٤
﴿إِنَّكَ الْذَّيْبُ تَدْعُوكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]	٣٣
﴿إِنَّكَ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]	٥٥
﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]	٧٩
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]	٢٧
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]	٢٧
﴿الْقِيَمَةَ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٦]	٧٧
﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]	٢٧
﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]	٤٣
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]	٩١
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النور: ٢٤]	٩٩
﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الفرقان: ٣]	٤٠
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا عَلَى الْقُرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا السَّيِّئَ أَكَلَمَ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا﴾ [الفرقان: ٤٠]	٣٥٠
﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤]	٥٦
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغِيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]	٥٣
﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَسْكُرُونَ﴾ [النمل: ٥٩ - ٦٠]	٣٣
﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]	٥٦
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]	٣٣

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النمل: ٧٦] ٨٠	
﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] ٩٥	
﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] ٥٦، ٣١	
﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسْكِنِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣٨] ٣٥	
﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ	
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠] ٣٤	
﴿وَلَكِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾	
[العنكبوت: ٦١] ٣٣	
﴿وَمِنْ عَائِيَّتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الروم: ٢٠] ٢٦	
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] ٩٠	
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] ٣٦	
﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسُ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ [الروم: ٣٣] ٣٨	
﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١] ٤٠	
﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨] ٩١	
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧] ٥٥	
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السجدة: ٢٥] ٩١	
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] ٨٦	
﴿وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] ٦٦	
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧] ٥٠	
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾	
[فاطر: ٣٦] ١٠٢	

السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي	
السَّمَوَاتِ﴾ [فاطر: ٤٠] ٤٠	
﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [فاطر: ٤٤] ٥٨	
﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩] ٨٩	
﴿فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٣] ٩٦	
﴿قَالَ اتَّبِعُونِ مَا تَنجُونَ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٥ - ٩٦] ٤٨	
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنبُيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ	
ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ [الزمر: ٢١] ٧٧	
﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي	
بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾ [الزمر: ٣٨] ٤٨	
﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الزمر: ٦٩] ٩٨	
﴿وَحَاقَ بِشَالٍ فِرْعَوْنُ سُوءَ الْعَذَابِ ﴿٢٠﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: ٤٥ - ٤٦] ٩٤	
﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] ٩٤	
﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧] ٢٧	
﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٠] ٩٩	
﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِتِبَاءَهُ	
تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] ٥٠	
﴿وَلِئِنَّهُ لَكُنْزٌ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	
[فصلت: ٤١ - ٤٢] ٦	
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ٥٩	
﴿يَهْبُ لِمَن يَشَاءُ إِن شَاءَ إِن شَاءَ لَمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩] ٥٦	
﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ [الدخان: ٥٦] ١٠٢	

- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١] ٩٢
- ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْعَوُونَ﴾ [الجاثية: ٣٥] ١٠٣
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُمْ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُخْرِجَ الْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣] ٩٠
- ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [الفتح: ٢٧] ٦٨
- ﴿ثُمَّ حَمَّزَ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ٨٦
- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا﴾ [ق: ٦] ٣١
- ﴿وَأَحْيَيْنَاهُ بِلَدَّةٍ مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١] ٩١
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] ٥٨٠
- ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] ٢٧
- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] ٣٠
- ﴿وَالنَّجْوَىٰ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [النجم: ١-٣] ١٠٨
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ [القمر: ١٧] ٦٩
- ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾ [الرحمن: ٤٦] ١٠١
- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨-٥٩] ٣٣
- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤] ٣٣
- ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد: ٢] ٥٦
- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الحديد: ٢٥] ٦٣
- ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [المجادلة: ٨] ٦٨
- ﴿قُلْ يَتَايَأُ الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة: ٦-٧] ٨١

- ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣-٤] ٣١
- ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [الملك: ١٤] ٥٦
- ﴿وَأَنَّا لَعَلَّ خَلْقَ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ٧٣
- ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥] ٩٢
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كُنْبَهُ بِإِيمَانِهِ﴾ [الحاقة: ١٩] ٩٨
- ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١-٢] ١٠٧
- ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِّلسَّمْعِ﴾ [الجن: ٩] ٧٤
- ﴿وَجُودٌ بِمِيزَانٍ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ٩٠
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦-٣٧] ٩٠
- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ٣٠
- ﴿وَجَرَّهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢] ١٠١
- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ [النبا: ٦] ٢٦
- ﴿وَجَعَلْنَا الْفَأَقَاةَ﴾ [النبا: ١٦] ٢٦
- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبا: ٢١] ١٠٢
- ﴿جَزَاءً وَفَقَا﴾ [النبا: ٢٦] ١٠٢
- ﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ﴾ [النازعات: ٢٧] ٢٧
- ﴿وَالْجِبَالُ أَرْسَاهَا﴾ [النازعات: ٣٢-٣٣] ٢٧
- ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] ١٠٩
- ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨] ٩٧
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧] ١٠٤
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] ٧٤
- ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] ٩٨
- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ٣٩

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصفحة
«كُلْ مَوْلُودٌ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ».....	٣٦
«مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أُوتِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ».....	٦٣
«إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ مِنَ الْبَشَرِ آدَمَ».....	٧٣
«أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ، بَأْيَهُمْ أَفْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ».....	١٠٩
«مَنْ كَانَ عَلَى مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي».....	١٠٩
«إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتُ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ».....	١٠٩
«إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ».....	١١٠
«مَنْ وَجَدَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ».....	١١٢
«كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ نَبَأٌ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرٌ مَا بَعْدَكُمْ».....	١٠٧
«تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّتِي».....	١٠٨
«أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حُلُوهُ وَنُورُهُ».....	٨٣
«زُوِيْتُ لِي الْأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مَلِكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا».....	٧٥

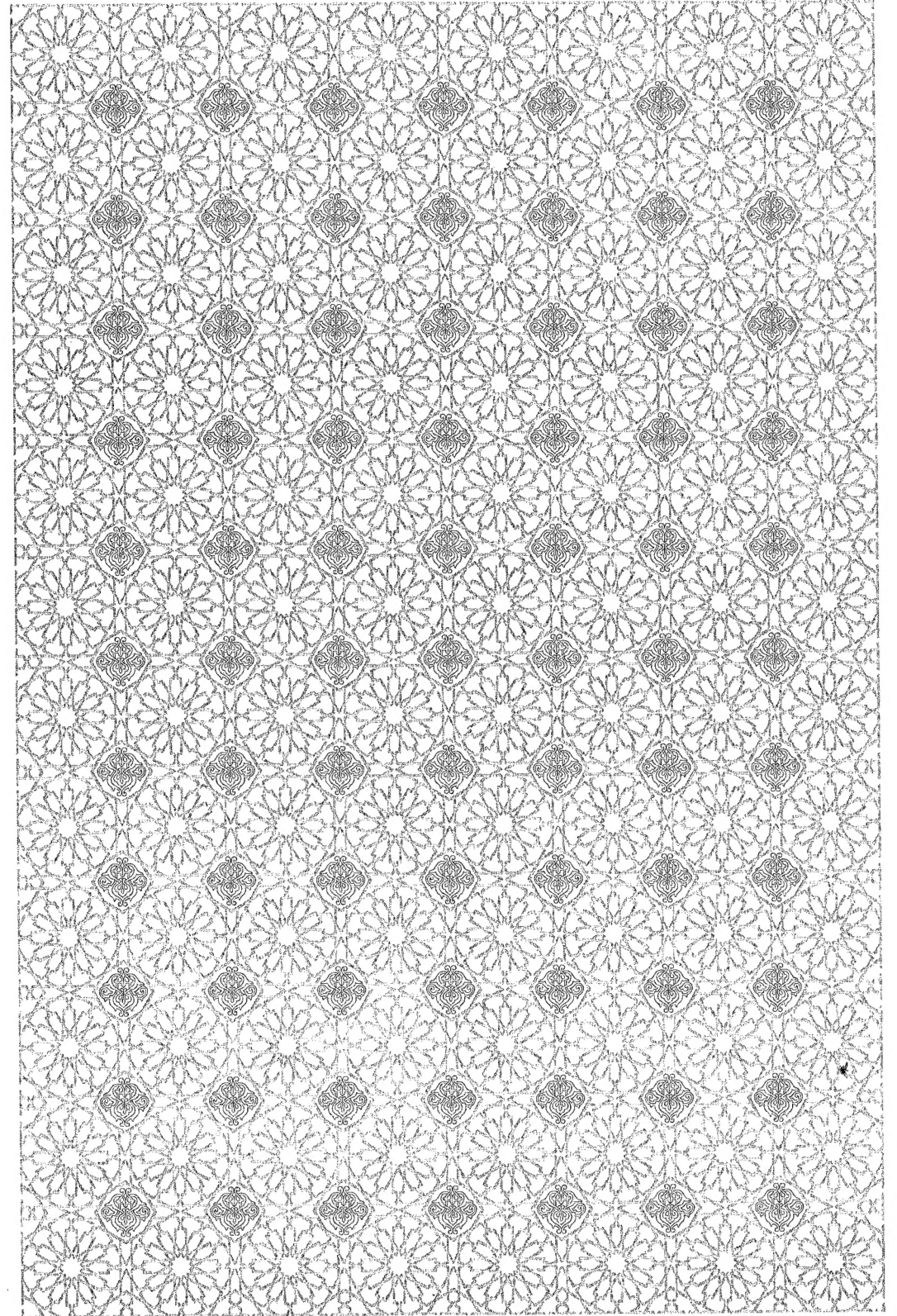
الحديث

الحديث	الصفحة
«وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».....	٧٦
«فَإِنْ لَمْ تَجِدْنِي فَاتِي أَبَا بَكْرٍ».....	٨٤
«يَا أَبَى اللَّهِ وَالْمُسْلِمُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ».....	٨٤
«افْتَدُوا بِاللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ».....	٨٥
«يُقْتَلُ فِيهَا هَذَا مَظْلُومًا».....	٨٥

*** ** *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
ترجمة موجزة للإمام أبي القاسم بن جزي	٩
صور المخطوط المستعان به	١٥
مقدمة المصنف	٢١
القاعدة الأولى في الكلام في الإلهيات	٢٣
الفصل الأول: في إثبات وجود الله تعالى	٢٥
- المسلك الأول: الاستدلال بما نصبه من الآيات في أنواع الموجودات	٢٥
- المسلك الثاني: الاستدلال بأخبار الأنبياء	٣٤
- المسلك الثالث: أن وجود الله تعالى تشهد به الفطرة السليمة	٣٦
الفصل الثاني: في التوحيد	٣٩
- الوجه الأول	٣٩
- الوجه الثاني	٤٠
- الوجه الثالث	٤٠
- الوجه الرابع	٤٢
مسألة في الرد على النصاري:	٤٣



الموضوع	الصفحة
الدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ: «إِنَّ عِيسَى وَلَدُ اللَّهِ»	٤٥
- الوجهُ الأوَّلُ	٤٥
- الوجهُ الثَّانِي	٤٥
- الوجهُ الثَّالِثُ	٤٦
- والوجهُ الرَّابِعُ	٤٦
الدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ»	٤٦
- الأوَّلُ	٤٦
- الثَّانِي	٤٦
- الثَّالِثُ	٤٦
- الرَّابِعُ	٤٧
الدَّلِيلُ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ: «إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ»	٤٧
- الأوَّلُ	٤٧
- الثَّانِي	٤٧
- الثَّالِثُ	٤٧
مَسْأَلَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى عَبْدَةِ الْأَصْنَامِ وَالِدَّلِيلِ عَلَى بُطْلَانِ دِينِهِمْ مِنْ أَرْبَعَةِ أَوْجُهٍ:	٤٨
- الأوَّلُ	٤٨
- الثَّانِي	٤٨
- الثَّالِثُ	٤٨
- الرَّابِعُ	٤٩
مَسْأَلَةٌ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمَجُوسِ وَالِدَّلِيلِ عَلَى بُطْلَانِ قَوْلِهِمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:	٤٩
- الأوَّلُ	٤٩

الموضوع	الصفحة
- الثَّانِي	٤٩
الفَصْلُ الثَّالِثُ: فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى	٥٢
الدَّلِيلُ عَلَى إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَوْجُهٌ:	٥٢
- الوجهُ الأوَّلُ	٥٢
- الوجهُ الثَّانِي	٥٣
- الوجهُ الثَّالِثُ	٥٥
مَسْأَلَةٌ: فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى	٥٦
الفَصْلُ الرَّابِعُ: فِي تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى	٥٨
تَنْبِيْهُ وَنَصِيْحَةٌ: فِي أَلْفَاظِ يَوْمِهِمْ ظَاهِرَهَا التَّشْبِيْهُ	٥٩
القَاعِدَةُ الثَّانِيَّةُ فِي الْكَلَامِ فِي الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَيْمَةِ وَالصَّحَابَةِ	٦١
الفَصْلُ الأوَّلُ: فِي إِثْبَاتِ النُّبُوَاتِ	٦٣
فِي بَعْثِ الْأَنْبِيَاءِ وَجُوهٌ مِنَ الْحِكْمَةِ:	٦٣
- الوجهُ الأوَّلُ:	٦٣
- الوجهُ الثَّانِي:	٦٤
- الوجهُ الثَّالِثُ:	٦٤
الفَصْلُ الثَّانِي: فِي إِثْبَاتِ بُرْهَانِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ	٦٦
وَيَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ رِسَالَتِهِ وَبُرْهَانِهِ خَمْسَةُ أَنْوَاعٍ:	٦٦
النُّوعُ الأوَّلُ: الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ	٦٧
النُّوعُ الثَّانِي: مَا ظَهَرَ عَلَى يَدَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ	٧٠

الموضوع	الصفحة
النوع الثالث: الاستدلال بما وهبه الله تعالى من الفضائل	٧٢
النوع الرابع: الاستدلال بما ظهر قبل مبعثه من العلامات	٧٣
النوع الخامس: الاستدلال بما ظهر بعده صلى الله عليه وسلم من العلامات	٧٥
مسألة: في الرد على اليهود بسبعة أوجه:	٧٦
- الوجه الأول	٧٧
- الوجه الثاني	٧٧
- الوجه الثالث	٧٨
- الوجه الرابع	٧٩
- الوجه الخامس	٧٩
- الوجه السادس	٨٠
- الوجه السابع	٨١
الفصل الثالث: في الإيمان بالملائكة	٨٣
الفصل الرابع: في توفير الصحابة وأهل البيت	٨٤
القاعدة الثالثة: في الكلام في الدار الآخرة	٨٧
الفصل الأول: في إثبات المعاد والدليل على أنه أمر ممكن من ثلاثة أوجه:	٨٩
- الوجه الأول	٨٩
- الوجه الثاني	٩٠
- الوجه الثالث	٩٠
الفصل الثاني: فيما يكون قبل يوم القيامة	٩٣
الفصل الثالث: في يوم القيامة وأحواله	٩٦

الموضوع	الصفحة
- الصراط	٩٦
- الميزان	٩٧
- الحساب	٩٧
- القصص	٩٨
- الخوض	٩٨
- الشفاعة	٩٩
شهادة الأعضاء	٩٩
الفصل الرابع: في الجنة والنار	١٠١
أهل الجنة ينظرون إلى الله تعالى	١٠١
نعيم الجنة دائم لا انقطاع له	١٠٢
النار قيدخلها الكفار والمذنبون	١٠٢
الكفار يخلدون في النار خلوداً دائماً لا انقطاع له	١٠٢
لا يخلد مؤمن في النار	١٠٣
خاتمة الكتاب	١٠٥
من وصايا الإمام ابن جزي:	١٠٧
- الأول: تلاوة القرآن العظيم، وتدبر آياته، وتفهم معانيه	١٠٧
- الثاني: قراءة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومطالعة سيره، وتفهم كلامه، واتباع سنته	١٠٨
- الثالث: معرفة أخبار السلف من الصحابة والتابعين، والافتداء بهم، وترك محدثات الأمور	١٠٨
- الرابع: تقوى الله تعالى، والاستقامة على الطاعات، وتجنب المعاصي والسيئات	١٠٩

الموضوع	الصفحة
مِمَّا حَذَرَ مِنْهُ الْإِمَامُ ابْنُ جُرَي:.....	١٠٩
- الْأَوَّلُ: الْأَشْتِغَالُ بِالْعُلُومِ الْقَدِيمَةِ غَيْرِ الشَّرْعِيَّةِ.....	١٠٩
- الثَّانِي: النَّظَرُ فِي الْأُمُورِ الْمُشْكَلَاتِ، وَالْأَشْتِغَالُ بِالشُّبُهَةِ وَالتَّشْكِيكَاتِ.....	١١٠
الفهارس العامة.....	١١٥
فهرس الآيات القرآنية.....	١١٧
فهرس الأحاديث النبوية.....	١٢٨
فهرس الموضوعات.....	١٣١
